# سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (49) | 26 / 8 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

«وفي خفّة الطيران
أصدقائي يرفّون ليلاً ، ولا يتركون
خلفهم أثرًا».

إلى روح شهيد سوري

# النظام يقرر قتل الصحفيين العرب والأجانب

قرر لقاء ضم مجموعة من المسؤولين الأمنيين السوريين قتل مجموعة من الصحفيين العرب والأجانب الذين يغطون تطورات الأحداث في حلب، فيما قتل في دمشق اليوم أحد الصحفيين السوريين المتعاطفين مع الانتفاضة المضادة لنظام الرئيس بشار الأسد.

وأفاد مراسل الجزيرة في حلب بأن لواء التوحيد التابع للجيش السوري الحر اعتقل مساعدا سابقا في أركان الجيش السوري وعضوا حاليا في حزب البعث، قال إنه كان قد شارك في اللقاء الذي ضم مجموعة من المسؤولين الأمنيين السوريين.

وحسب مصادر لواء التوحيد فقد تقرر خلال ذلك الاجتماع قتل مجموعة من الصحفيين العرب والأجانب الذين يغطون تطورات الأحداث في حلب.

## اليابانية قُتلت بأوامر

وقال المعتقل في شهادة مسجلة بثتها الجزيرة إن أوامر قتل الصحفيين أعطيت من قبل مسؤول في الأمن السياسي في حلب، وأضاف أن قتل الصحفية اليابانية في حي سليمان الحلبي حدث بناء على أوامر التصفية تلك.

من جانبه أعرب وزير الخارجية الياباني كويتشيرو غيمبا عن الأسف لمقتل الصحفية اليابانية، وقال إن بلاده تواصل مراقبة الأوضاع في سوريا عن كثب.

وقد نقل جثمان ميكا ياماموتو من مدينة أضنا التركية إلى إسطنبول ومن ثمّ إلى طوكيو. وكانت ياماموتو قد توفيت متأثرة بجروحها في قصف خلال مرافقتها مقاتلين من الجيش السوري ليرتفع عدد الصحفيين الأجانب الذين قتلوا منذ مارس/آذار 2011 في سوريا أثناء تغطيتهم للثورة إلى أربعة.

## مقتل صحفي سوري

من جهة أخرى قال ناشطون من المعارضة إن القوات السورية قتلت صحفيا متعاطفا مع الانتفاضة المناهضة للرئيس بشار الأسد لدى مداهمتها حي نهر عائشة في دمشق.

وأضافوا أن الجنود قتلوا مصعب العودة اللّه، الذي كان يعمل بصحيفة تشرين الحكومية، رميا بالرصاص من مسافة قريبة بعدما دخلوا منزله أثناء مداهمة منازل في الحي الذي يقع في جنوب العاصمة.

ولم يتسن التحقق من تقرير النشطاء بسبب القيود التي تفرضها السلطات السورية على الإعلام المستقل.

وكان العودة اللّه بين ما لا يقل عن أربعين شخصا قتلوا في قصف وهجمات أخرى في دمشق، حيث استخدم الجيش الدبابات وطائرات الهليكوبتر الحربية في هجوم على المعارضة المسلحة.

وينحدر العودة اللّه من بلدة درعا الجنوبية مهد الانتفاضة المستمرة منذ 18 شهرا ضد الأسد، واستخدم اسما مستعارا لكتابة تقارير على الإنترنت بشأن الحملة في مسقط رأسه.

وقال رئيس لجنة الحريات العامة في رابطة الصحفيين السوريين غير الرسمية مسعود عكو، إنه بمقتل العودة اللّه يرتفع عدد قتلى الصحفيين والمدونين والكتاب السوريين على أيدي قوات الأمن خلال الانتفاضة إلى 54.

وقال في مكالمة هاتفية من برلين إن معظمهم قتلوا بأعيرة نارية أصابتهم في رؤوسهم، مضيفا أن النظام يعتمد فيما يبدو قتل الصحفيين ونشطاء وسائل الإعلام الاجتماعية كسياسة متبعة.

# من آلة قتل وتدمير وقصف إلى وسيلة سعادة لأطفال تلبيسة

## دبابة بحمص تحولت لأرجوحة عيد وشاركت بالتظاهر

يقول السوريون عبارة أصبحت مشهورة ومنتشرة على نطاق واسعة بينهم "فقط في سوريا يضحك الناس من الموت"، ويبدو أن تلبيسة التابعة لحمص ستعمم مفهوما آخر "يمكن للدبابة أن تتحول من آلة قتل إلى أرجوحة عيد تسعد الأطفال".

هناك في حمص وتحديداً في تلبيسة أطل العيد على أطفال المدينة بطريقة مدهشة غريبة، ولم يستطع كل الدمار الذي خلفه بشار الأسد وجيشه ومدفعيته من حرمان أطفال تلبيسة من عيدهم..

في تلبيسة "اللي مالو دبابة مالو عيد"، وفي تلبيسة وضعت أرجوحات الأطفال على فوهة المدفع المثبت فوق الدبابة، وهتف الشباب الواقفين فوق الدبابة بإسقاط النظام، وغنوا متحدين النظام، وبعثوا برسائل للرئيس الأسد بأنه غير قادر على دخول تلبيسة رغم كل القصف والقتل الذي حدث هناك..

وكأن تلبيسة ترفض أن تدفن تحت رماد الصواريخ والقذائف، فتصر على أن يشعر الأطفال بعيدهم، فتحول الدبابة التي تمتهن القتل إلى أداة جالبة للسعادة لأطفال تلبيسة.

الدبابة شاركت في المظاهرة في تلبيسة، لتبقى المدينة التي نالت ما نالت من انتقام بشار الأسد واقفة وموجودة، ومبدعة في رسم الضحكة على وجوه السوريين رغم الموت المنتشر بإبداعاتها فيديوهات ونكات تسخف بالنظام وبآلته العسكرية.

# قراصنة فرنسيون يدعمون حرب ثوار سوريا الإلكترونية

## قدموا للمعارضين نصائح عن كيفية تشفير الرسائل النصية وتجنب الرصد أثناء تصفح الإنترنت

ينشط العشرات من القراصنة حول العالم، على غرار مجموعة "لوب" الفرنسية لدعم المعارضين السوريين في حربهم الإلكترونية ضد نظام بشار الأسد.

وتضم مجموعة "لوب" الفرنسية حوالي عشرة قراصنة إنترنت ناشطين متفرغين، وحوالي 30 آخرين يساعدونهم من وقت لآخر، إضافة إلى 250 ناشطاً إلكترونياً آخر مدرجة أسماؤهم على قائمة البث.

ويعمل هؤلاء إلى جانب المعارضة السورية على الإنترنت بالتعاون مع مجموعة القراصنة الناشطين "تيليكوميكس" التي تأسست في 2009.

وفي 15 سبتمبر/أيلول 2011 تمكن هؤلاء الناشطون الإلكترونيون من تحويل كل حركة الإنترنت الصادرة من سوريا إلى صفحة استقبال نشروا عليها تحذيراً للمتصفحين من خطر تعرضهم للمراقبة.

## حوار سري وآمن

وقد زودوهم بنصائح لكيفية إخفاء هوياتهم ووضعوا أنفسهم بما يملكون من أدوات وخبرات بتصرف المتصفحين السوريين لجعل اتصالاتهم سرية بأكبر قدر ممكن.

ويوضح توم، أحد الناشطين في "لوب": "أنشأنا وأدرنا غرفاً للحوار المباشر تضمن السرية وآمنة بنسبة 100٪ يمكن من خلالها للمعارضين السوريين أن يتصلوا بنا وأن يتصلوا حتى ببعضهم بعضاً، مطمئنين إلى أنه لن يتم التعرف إليهم من قبل النظام حتى وإن كانت لديه أفضل التكنولوجيات المشتراة من فرنسا أو من الولايات المتحدة".

ومنذ ذلك نجحت هذه المجموعة في كسب ثقة عشرات الناشطين والمعارضين السوريين الذين يخاطرون بحياتهم لنشر أشرطة فيديو وأخبار على الإنترنت تنقل للعالم ما يجري في بلدهم.

ويشرح توم أن مطالب الثوار السوريين الذين يلجؤون إلى مجموعة "لوب" تنوعت بين كيفية تبادل الرسائل الإلكترونية بسرية، وكيفية تشفير الرسائل النصية القصيرة في أنظمة التشغيل من نوع أندرويد، وكيفية تجنب الرصد أثناء تصفح الإنترنت وكيفية تجنب تقفي آثار المتصفحين.

## لا مجال للخطأ

ويشير إلى أن "محطات تابعة لتيليكوميكس ولوب ومجموعات أخرى وجدت لتقديم حلول لهم ودرس مشاكلهم".

ويتابع القرصان المعلوماتي قائلاً "من غير الوارد أن يكون من يفعل هذا الأمر يفعله بهدف التسلية ويعرض بالتالي حياة الناس للخطر. نحن نتحمل مسؤولية مقدسة. إذا استخدموا تكنولوجيا زودناهم بها يجب أن تكون هذه التكنولوجيا آمنة بنسبة 100٪. لا يمكننا أن نخطئ. لا يمكن أن نقول، عفوا، لقد تسببت بمقتل 50 شخصاً".

ويضيف "أحياناً تبنى علاقات مع محطات داخل سوريا. تعلمنا على التعرف إلى بعضنا بعضاً رغم أننا نستخدم أسماء مستعارة، لكن في أحد الأيام قد تنقطع نهائياً أخبار تلك المحطة. تنقطع الأخبار بالكامل، وعندها لا تعود تنظر إلى حاسوبك بنفس الطريقة".

## تصنيع طوافات تجسس

ويشرح الناشط الإلكتروني أنه مؤخراً بدأت ترد إلى "محطته" أسئلة عن كيفية استخدام "الكوادكوبتر"، وهي طائرات صغيرة يتم التحكم بها عن بعد ومزودة بأربع مراوح وهي سهلة الصنع.

ويقول مبتسماً "ليس خطأ أن نساعدهم على تصنيع هذه الطوافات. تصنع ثلاث طوافات رباعية المراوح، تزودها بهوائيات إذاعية وتجعل كلاً منها تطير إلى سقف أحد مباني الحي، وبذلك تصبح لديك شبكة صغيرة، شبكة يسهل تركيبها وفكها ويصعب رصدها".

وقد اعتاد توم أن يكون الناطق الإعلامي باسم مجموعة "لوب"، وهو يشرح بإسهاب ووضوح التفاصيل "العلنية" لما يطلق عليه اسم "عملية سوريا"، لكنه يضيف "بالطبع أنتم تعلمون أن هناك كما لا بأس به من الأمور التي لا يمكن الإفصاح عنها".

# دمار كبير في حي صلاح الدين بحلب

نال حي صلاح الدين بمدينة حلب النصيب الأوفر من القصف العشوائي والمحاولات المتكررة للجيش النظامي السوري لاقتحامه والسيطرة عليه، لكن صمود مقاتلي الجيش السوري الحر حال دون ذلك وهم المتسلحون بأسلحة خفيفة وبعزيمة قوية جعلت من الحي رمزا لمعركة حلب التي خلفت مئات من الضحايا ودمارا واسعا.

وقد حاولت القوات النظامية مدعومة بالمروحيات التقدم منذ الصباح إلى مواقع الجيش الحر في صلاح الدين، حيث تصدى المقاتلون لمحاولات القوات الحكومية المتكررة للتقدم باتجاه المدرسة الثانوية الشرعية بقلب الحي.

وتزامن ذلك مع تقدم من محورين من غرب صلاح الدين وشماله، لكن مقاتلي الجيش الحر تمكنوا من صد جميع محاولات التقدم، وأجبروا القوات الحكومية على التقهقر إلى طريق الحمدانية.

واستخدمت القوات النظامية الطائرات الحربية والمروحية وقذائف الهاون والدبابات في قصفها لحي صلاح الدين، بينما رد الثوار بالرشاشات المتوسطة وقذائف الآر بي جي، واستخدموا العبوات الجانبية مما مكنهم من تفجير دبابتين وفق ما أفاد به قادة ميدانيون بالجيش الحر.

## دمار شامل

وقد تمكن أحد المراسلين من الوصول إلى قلب حي صلاح الدين واطلع على حجم الدمار الكبير الذي خلفته المعارك الطاحنة منذ شهر، حيث تسببت في تدمير غالبية الحي وتهجير جميع سكانه.

ويعتبر حي صلاح الدين معقل الثورة الرئيسي في حلب والشرارة الأولى للثورة المسلحة في المدينة والظهور العلني الأول للثوار في المدينة، حيث يسيطر الثوار على أجزاء كبيرة من الحي، وعجزت قوات الجيش النظامي عن استرداد الحي رغم حجم النيران المستعملة في قصفه، وذلك لاستماتة الثوار في الدفاع عنه رغم إمكاناتهم العسكرية المتواضعة.

وينتشر مقاتلو الجيش الحر في شوارع وأزقة الحي، وتتمركز أعداد كبيرة منهم خلف متاريس بين ركام المنازل المدمرة. والتقى المراسل عددا من العناصر الذين أصروا على الاستمرار والتقدم رغم القوة النارية التي تواجههم بها القوات النظامية.

وقال علي حميدو - وهو قائد مجموعة مقاتلة ويلقب بأبي دجانة - إن قوات الجيش الحر تسيطر على حوالي 95٪ من الحي. وأكد أن الجيش الحر بدأ منذ أسبوع استخدام عبوات جانبية مصنوعة محليا لتفجير الدبابات، حيث استخدمت لتدمير دبابتين للقوات النظامية.

وأوضح أبو دجانة أن القوات الحكومية تركز على حي صلاح الدين لأنه يعد مركز الثورة في حلب وهو أول حي بالمدينة ينتفض، مشيرا إلى أن الجيش الحر شكل لجانا أمنية لحماية ممتلكات المهجرين في جميع أرجاء حي صلاح الدين المحررة.

ولفت إلى أن قوات النظام كانت تسيطر منذ يومين على دوار صلاح الدين، لكن تم دحرهم ليصبح الدوار منطقة خط نار لا يسيطر عليه أحد.

وتوعد أبو دجانة قوات النظام، مؤكدا أن قوات الجيش الحر تواصل التقدم باتجاه حي سيف الدولة وحي الإكرامية والحمدانية، وبعد ذلك الأفرع الأمنية للمخابرات الجوية والعسكرية وهي من أخطر الأجهزة في حلب، متوقعا السيطرة على كامل مدينة حلب قبل نهاية هذا الشهر.

# "الجيش الحر" يحظر التعذيب والعمل السياسي

أصدر الجيش السوري الحر الذي يضم المعارضين الذين يقاتلون لإسقاط الرئيس بشار الأسد أوامر جديدة الأثنين تحظر تعذيب الأسرى أو قتلهم وذلك بعد الانتقادات التي وجهها محققون للأمم المتحدة.

وقال الجيش الحر فيما أطلق عليه ميثاق داخلي جديد قرأه أحد قادة المعارضة في شريط فيديو نشر على شبكة الإنترنت إنه محظور أيضا على أعضائه الانتماء إلى أي حزب سياسي أو ديني وألزمهم الميثاق الامتناع عن الاشتغال بالسياسة في مرحلة ما بعد خلع الأسد.

وقال العقيد قاسم صلاح الدين إنه يجب على جنود الجيش السوري الحر "تنفيذ مبادئ القانون الدولي التي تحظر إيذاء المدنيين... وتعذيب المقاتلين الأسرى أو قتلهم".

وكان محققون للأمم المتحدة قالوا في تقرير الأسبوع الماضي إن المعارضين يرتكبون جرائم حرب منها عمليات إعدام في سوريا وإن كانت على نطاق أصغر مما يرتكبه الجيش وقوات الأمن..

وقال صلاح الدين وهو يقرأ من الميثاق إن "أعضاء الجيش السوري الحر محظور عليهم الانتماء إلى أي حزب سياسي أو ديني والتدخل في العملية السياسية بعد إسقاط نظام الأسد".

## أوجاع وطن

# صحفيي الثورات

■ من أنطاكيا - ريما مروش

كان لقاء عابر، بمدينة كيليس التركية قرب الحدود السورية، ميكا ياماموتو، الصحفية اليابانية، لم يكون لديها الكثير من الوقت، كانت متجها إلى حلب لتغطي الحرب، قبل السفر كانت تريد أن تجري مقابلة أخيرة في تركية مع «أبو براء» من ريف حلب الذي يوصل للثوار الأكل، الذخيرة، وعلب الدخان.

أبو براء كان أيضا في طريق عودته إلى حلب. التقينا بالصدفة أمام الفندق، تبادلنا بعض المعلومات عن المعابر كزملاء مهنة وافترقنا، الخبر عن مقتل ميكا، وصل إلينا بنفس اليوم، قتلت بحلب بحي سليمان.

نلتقي عادة في دهاليز أو بارات الفنادق. جميعنا متجهين إلى الأماكن التي يهرب منها السكان مؤمنين أننا يجب أن نكون صوتا لمن لا صوت لهم..

لكن لنكن صريحين: تغطية الحروب تسبب نوعا خاصا من الإدمان، الأمور تكون أوضح في القرب من الجبهات، ترى القصص كما هي وتجد قصص أشخاص دُفعوا إلى نهاية الأشياء، نذهب إلى هناك بإرادتنا، ميكا ياماموتو غطت العراق وأفغانستان.

غريبة هذه اللقاءات العابرة والدروس التي نتلقاها من بعضنا البعض، الجيل الأكبر ينقل معرفته للجيل الأصغر من الصحفيين، «أبقى جانب الجدار»، «انبطح على الأرض»، أحيانا السخرية تساعد بتجاوز الواقع: «دعي المصورين الفرنسيين في الصف الأول»، سمعت من زميلي الأكبر سنا في ليبيا خلال معارك طرابلس في حي بو سليم بعد مقتل مصوران فرنسيان «نحن نكتب فليس هناك داعي أن نكون على أول خط الجبهة مثل المصورين»، نسخر الواقع وبطبيعة مهنتنا لا نحب التجميل.

هناك فرق كبير بيننا وبين المدنيين الهاربين من الحرب، نحن ندخل بقرارنا وعند أي صعوبة دائما يمكننا الانسحاب، لسنا وحدنا في جحيم الحرب، محررين ومحطات وإذاعات وجرائد بأكملها تقف ورائنا مستعدة لأي خطوة أو دعم، ندخل مع أجهزة اتصال فضائية ومع واقي للرأس ودرع للجسد، المدنيين ليس لهم هذه الحرية في اتخاذ القرار أو هذه الرفاهيات.

في قسم الصحافة في الجامعات في الغرب يعلمون أن واجبنا أن ننقل الخبر وأن لا نكون أبداً الخبر نفسه، أن لا نضع أنفسنا كمحور القصة، «أنت لست مهما، القصة التي تحاول أن ترويها هي الأهم». عندما نُقتل للأسف نصبح ما نحاول تجنبه: نصبح الخبر والحدث..

حصيلة الصحفيين المقتولين في سورية لحد الآن: 64 وفقا لرابطة الصحفيين السوريين، وستكون أعلى، اليوم، الأمن قتل صحفياً آخراً: مصعب العودة اللّه، من مواليد درعا، في بيته، قتله أثبت واقعا مرا، عند قتل صحفي أجنبي كل الجرائد والإذاعات تتبادل الخبر. الصحفيين المحليين للأسف يبدون وكأنهم أقل قيمة. ولكن لهذا حديث آخر.

منذ حوالي أسبوع انقطعت الأخبار عن زميل آخر، أوستين تايس، والذي كان يغطي سورية من الداخل، تايس كان يكتب للواشنطن بوست وماكلاتشي. البحث على أوستين قائم. عدم وجود أخبار عن صحفي في منطقة حرب هو عادة خبر سيء. تايس اختفى قرب دمشق، من هناك كتب آخر إيميل وتقرير لجريدة البوست. عائلته وافقت على نشر آخر ما كتبه عبر الفيسبوك عن أسباب وجوده في سوريا.

وفقا لأوستين هناك شيء تغيير بقيم الأشخاص في الولايات المتحدة «أننا فقدنا الشعور أن هناك أشياء تستحق الموت من أجلها. ولهذا السبب جئت إلى هنا، إلى سوريا، أحب أن أكون هنا في الوقت الحاضر في وسط حرب وحشية ووسط حرب أهلية غير مؤكدة بعد. جميع الأشخاص هنا الذين يقاتلون من أجل الحرية يستيقظون في الصباح ويذهبون إلى النوم كل ليلة على يقين أن الموت يستطيع أن يزورهم بأي لحظة».

ويضيف: «إنهم يعيشون بطريقة معظم الأمريكيين لا يعرفون كيف تكون، يعيشون مع شغف كبير ويحلمون بطموح عظيم لأنهم ليسوا خائفين من الموت.

لا، ليس لدي رغبة في الموت - لدي رغبة في الحياة، لذلك أنا أعيش في مكان وفي زمان ومع ناس تعني لهم الحياة أكثر من أي مكان آخر كنت به - لأن كل يوم يضحون هنا بحياتهم من أجل الآخرين، المجيء إلى هنا إلى سوريا هو أعظم شيء فعلته لحد الآن، وانه أعظم شعور في حياتي».

مثل اوستين وميكا نذهب الى هذه الأماكن لنشهد تاريخ بلدان وشعوب بأنفسنا. لنكون أول المؤرخين الذين للأسف يرتكبون أحياناً أخطاء في قراءة الواقع (مثلاً فكرة أن الجيش السوري الحر مؤسسة منظمة مع هرم عسكري وقيادة في مخيم ضباط في تركية بدل من كتائب مختلفة مع تنسيق مختلف تأتي تحت إطار اسم الجيش السوري الحر).

ولكن أن ترى انهيار جدار برلين مثل زملائي الأكبر سنا أو سقوط باب العزيزية يدفعنا للمغامرة.

# مقاتل في حلب يناضل من أجل "ثورة نقية" .. وهذا ما حصل معه؟

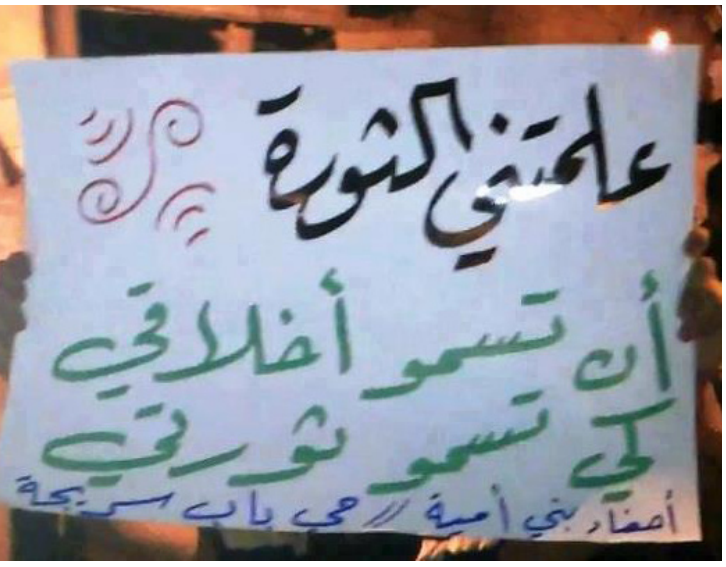


وسط قرقعة المدافع الرشاشة الثقيلة وأزيز رصاص القنص ورائحة البارود، يفاجأ مقاتلون معارضون للنظام السوري في احد أحياء حلب بامرأة محجبة عند مفترق طريق، ويقررون توقيفها بعد أن أثار وجودها ليلا في المكان شكوكهم.

يسحبونها من الجديدة، الحي المسيحي الذي استعادته القوات النظامية بعد هذه الحادثة، إلى خلف جدار كلسي عتيق لمنزل اثري يتحصنون فيه. ويطلبون منها التعريف عن نفسها.

قبل أيام، كان حي الجديدة إحدى جبهات معركة مدينة حلب التي دمرتها الحرب، وأعلن المقاتلون المعارضون السيطرة على ثلاثة أرباعه في نهاية الأسبوع الماضي، قبل أن تعلن قوات النظام الأربعاء استعادته.

وتعيش في الحي غالبية مسيحية ثرية ذات ولاءات سياسية متعددة، وقد كانت المنطقة مقصودة من السياح خصوصا بسبب شهرة مطاعمها.

ويتوجه مقاتل إلى المرأة سائلا "لماذا تسير امرأة بمفردها تحت القصف وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟".

تتذرع المرأة بان خروجها جاء بسبب ابنها المريض، لكن روايتها وتعابير وجهها لم تقنع المقاتلين.

يقرر أبو محمد، قائد المجموعة المقاتلة، اصطحابها إلى مقره الرئيسي الذي يبعد نحو 100 متر عن الشارع، لإجراء المزيد من التحقيق معها.

تجلس أميرة القرفصاء وقد لفت يديها حول خصرها وكانت تهز قدميها متوترة في انتظار وصول بعض السكان الذين استدعاهم أبو محمد على أمل التعرف عليها.

لكن حين يرى صورا ومقاطع غنائية على هاتفها النقال تمجد بشار الأسد، بالكاد يستطيع منع رجاله من توجيه الاهانات والشتائم إليها.

تبدأ المرأة حينها بالبكاء محاولة الدفاع عن نفسها، وتقسم أنها من داعمي المعارضة السورية.

يتصل أبو محمد بآخر رقم طلبته أميرة من هاتفها الخليوي، ويقدم نفسه على انه ضابط في الجيش السوري النظامي وقد أوقف أميرة على إحدى نقاط التفتيش للاشتباه بأنها تتجسس لصالح المقاتلين المعارضين.

ويرد عليه ضابط في امن الدولة قائلا "لا تقلق، دعها تمر. أنها معنا وتجمع لنا المعلومات عن مواقع الإرهابيين".

يقدم المقاتلون لأميرة كوبا من الماء، ثم ينقلونها إلى غرفة أخرى من غرف المنزل الأنيق الذي يعود إلى أوائل الحقبة العثمانية، وحوله المقاتلون قبل يوم واحد إلى مقر لهم.

يجلس أبو محمد (42 عاما) مطرقا ورأسه بين يديه على حافة بركة صغيرة في الباحة الداخلية للمنزل.

ويقول "ماذا يمكنني أن افعل بهذه المرأة؟ أنها تتجسس لمصلحة النظام لكن لا يمكننا احتجازها هنا. فهذا عمل يناقض تعاليم ديننا حتى لو كانت من الشبيحة".

ويضيف "لا يمكنني حتى أن أفتشها. كيف يمكنني أن أتأكد من أنها لا تقوم بزرع أجهزة الكترونية لكي تتمكن مقاتلات الميغ من قصف مواقعنا؟ لقد تلقينا معلومات إستخباراتية بأنه يتم استخدام النساء لهذه الغاية".

ويبدو المقاتل حسام أمين موافقا على ما قاله أبو محمد الذي يؤكد انه من أنصار "الثورة النقية".

ويقول حسام "لا يمكنها المبيت هنا، هذا ليس بالأمر السليم. سيشكل ذلك إهانة لشرف العديد من العائلات".

في النهاية، يقرر المقاتلون المعارضون إرسال أميرة للمبيت في منزل شقيقتها القريب، على أن يستأنفوا التحقيق معها صباحا.

ويقول أبو محمد "ماذا كنت تظن سيحل بها لو تم اعتقالها على أيدي جنود النظام السوري؟ هل تعرف الكثير من الثوار الذين يعاملون النساء المعتقلات مثلنا؟".

كان أبو محمد ضابطا في الجيش النظامي حين انشق قبل نحو ثلاث سنوات وحصل على اللجوء السياسي في بلجيكا.

ويوضح "لم يكن الجيش يعني شيئا بالنسبة لي. إذا لم تكن على علاقة جيدة بأصحاب النفوذ فلا يمكنك أن تحقق أي تقدم. هذا مقرف".

قرر الضابط المنشق الانضمام إلى المقاتلين المعارضين قبل نحو عام، وابنه محمد يقاتل حاليا إلى جانبه في المجموعة ذاتها.

قرب مقر المقاتلين المعارضين، توجد مكتبة تبيع لوازم قرطاسية في أسفل حصن أثري وقد استولى عليها "الثوار" بعد فرار صاحبها.

في كل مرة يأخذ المقاتلون شيئا منها، قلم عن رفوفها أو أي سلعة أخرى، فإنهم يسقطون بعض النقود في صندوق معدني خصصوه للمالك، وسيمولون منه أيضا إصلاح الباب الأمامي المحطم.

ويقول أبو محمد أن "بشار ونظامه لم يحترموا شيئا بالمطلق. لا قوانين أو قواعد لديهم. على هذه الثورة أن تظهر للمدنيين أنها تدافع عن قضية ما".

لكنه يدرك في الوقت نفسه أن العديد من المدنيين بدؤوا يتذمرون من أن الاشتباكات التي يخوضها الجيش السوري الحر في المدينة تعرض السكان للهجمات الجوية من قبل النظام.

ويضيف "إذا لم نحصل على تأييد الناس فنحن لا نساوي شيئا".

إلى ذلك، يبدو أن هذا المقاتل المخضرم لم ييأس من محاول استمالة جنود النظام إلى الثورة.

وهو يدير مكبرا للصوت صوب حاجز للجيش النظامي لا يبعد أكثر من 50 مترا عن موقعه، ويقول مخاطبا الجنود "أيها الجيش الأسدي، استمع إلي".

تعقب ذلك رشقات نارية، فيضحك أبو محمد لصدى الرصاص يقاطع افتتاح خطابه.

لكنه يتابع "لماذا تقاتلون لمصلحة بشار؟ هل تظنون انه يأبه لكم؟ لماذا تقفون في الجانب الخطأ؟ بعضكم من حلب وهذه مدينتكم التي تقومون بتدميرها".

# فرنسا تتجه إلى مبادرة مع الحلفاء للإسراع بالمرحلة الانتقالية ودعم المعارضة

يسعى الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند إلى القيام بمبادرة مشتركة مع حلفاء فرنسا الأوروبيين والولايات المتحدة والعرب للإسراع في المرحلة الانتقالية في سورية ودعم المعارضة خصوصا على الأرض في المدن التي أصبحت خارج سيطرة النظام السوري.

وترى أوساط فرنسية معنية بالملف أن على هذه المعارضة السورية وبمساعدة الدول العربية التوصل إلى تشكيل حكومة انتقالية تكون البديل الشرعي في نظر العرب والأسرة الدولية لنظام بشار الأسد الذي فقد شرعيته داخليا ودوليا والذي ينبغي في نظر أغلبية ساحقة في الأسرة الدولية أن يرحل.

وفي إطار اهتمام هولاند بالبحث عن مبادرة مشتركة بالنسبة إلى سورية أراد لقاء المبعوث الخاص للأمم المتحدة الجديد إلى سورية الأخضر الإبراهيمي ليستمع إلى أفكاره حول مهمته الجديدة.

وقالت مصادر فرنسية مطلعة لـ«الحياة» أن الإبراهيمي يريد اخذ الوقت الكافي للتشاور مع الجميع وعدم التسرع في مهمته.

ورأت المصادر أن عملياً فإن ركيزة عمله الوحيدة هي خطة المبعوث الأممي السابق كوفي أنان بنقاطها الستة.

ويرى الأخضر الإبراهيمي أولوية لوقف العنف، لكن مع معضلة عدم رغبة الطرفين في التحاور لتحقيق هذا الهدف.

من جانبه، يرى هولاند انه ينبغي وقف العنف وان لا يضيع الوقت مثلما فعل أنان عندما حاول «إدخال روسيا في لعبة لا يريدون المشاركة فيها».

ووفقاً للمصادر فقد نصح هولاند الإبراهيمي أن يكون مباشراً وصريحاً وواضحاً مع الرئيس السوري بشار الأسد وان يعبر بوضوح عن طلباته لأعضاء مجلس الأمن.

ورأت المصادر انه ينبغي الاستمرار في التحدث مع الروس في إطار إستراتيجية عامة للدول التي تريد الحل في سورية مع رحيل الأسد.

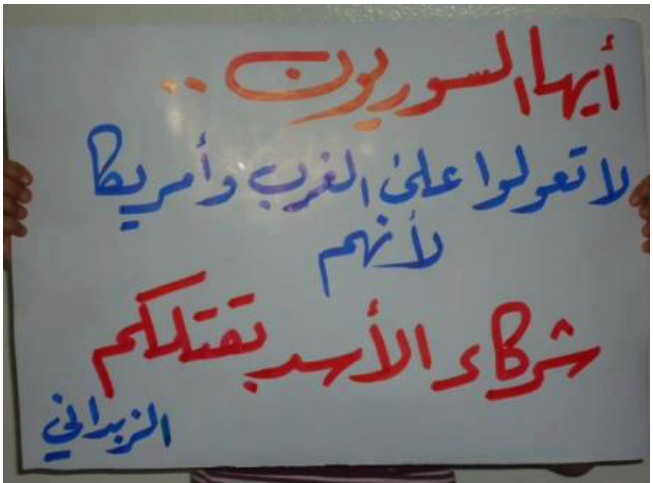


وأعلنت الرئاسة الفرنسية أن هولاند استقبل وفداً من المجلس الوطني السوري المعارض برئاسة رئيسه عبد الباسط سيدا، وذلك غداة اجتماع هولاند مع الإبراهيمي. كما أجرى وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس محادثات مع رئيس المجلس الوطني السوري وعدد آخر من أعضاء المجلس حول الأزمة السورية.

وكرر هولاند بعد اللقاء مع الإبراهيمي أن «لا حل سياسياً في سورية من دون رحيل بشار الأسد» عن السلطة.

وبحسب بيان للرئاسة الفرنسية فان هولاند «ذكر أيضا بتعهد (فرنسا) لصالح قيام سورية حرة وديمقراطية تحترم حقوق كل مجموعة من المجموعات» الموجودة على أراضيها، وأكد دعمه للوسيط الجديد.

وكان فابيوس التقى الإبراهيمي وأفاد بيان للخارجية الفرنسية أن الوزير «شدد على أهمية العمل لوقف سريع لأعمال العنف والإعداد لعملية انتقال سياسية بالتعاون مع المعارضة السورية لما فيه مصلحة كل السوريين، وبهدف بناء سورية حرة وديمقراطية تحترم حقوق الإنسان والأقليات».

## اعتقال عروة النيربية المنتج السينمائي في مطار دمشق

اعتقل منتج سينمائي سوري أمس الخميس في دمشق، وهو في طريقه إلى احتفالية ثقافية في القاهرة. وقد أعلنت عائلة المنتج السينمائي السوري عروة نيربية اختفاءه في مطار دمشق الدولي. وقالت زوجته المخرجة السينمائية ديانا جيرودي على صفحتها على "فيسبوك" إن "الخطوط الجوية المصرية أكدت أن عروة لم يصعد الطائرة، ما يشير إلى أنه قد اعتقل في مطار دمشق الدولي".

ونيربية هو ممثل تخرج في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق، ومن أبرز أعماله دوره في الفيلم السينمائي "باب الشمس" للمخرج المصري يسري نصرالله.

وقد أسس نيربية (ويدير) في دمشق مع عدد من زملائه مهرجان السينما الوثائقية "دوكس بوكس".

# سكان المناطق المحررة يديرون شؤونها بإشراف العسكر

■ يارا نصير

الرحلة إلى حلب محفوفة بالمخاطر هذه الأيام. عدا عن احتمالات القصف العشوائي التي لا يمكن توقعها دائماً، قد يُصادف المسافر إليها دبابة مخفية على جانب الطريق العام أو حاجزاً "طيارا" للجيش النظامي، كما يسميه أهل المنطقة. يحاول سائقنا، وهو شاب يدعى حسان من الجيش الحر، تجنب الطرق العامة قدر الإمكان سالكاً طرقاً ملتوية بين القرى. يده ترتجف على المقود وهو يضطر إلى قطع قسم من الطريق الدولي المؤدي إلى حلب، وعينه مثبتة على دبابة تربض على مسافة غير بعيدة، مراهناً على أن "يعميهم الله عنا"، على حد قوله.

للتنقل بين ريفي حلب وإدلب "كودات" خاصة بين السائقين، إذ تتمهل السيارتان القادمتان في اتجاهين معاكسين بشكل تلقائي ليتبادل السائقون نصائح من نوع "روح أخي من هون لأربع كيلومترات ما في شي" أو "دور وارجع، في حاجز لقدام شوي". نصائح تحمل من الثقة عند متلقيها قدر ما تحمله الرغبة المحمومة في البقاء على قيد الحياة.

"كودات" السائقين هذه خلقت منظومة عفوية للتواصل كبديل عن إشارات المرور المعتادة في الماضي، وكما تفقد لافتات المرور الزرقاء اليوم معناها مثيرة لدى العابرين إحساساً مريراً بالتغريب من لافتة تقول مثلاً "حلب 40 كم" أو أخرى تقول "انتبه منعطف خطر!"، كذلك تفقد منظومة الإدارة العامة التي تسير شؤون الحياة اليومية معناها، ليس فقط بسبب غياب الدولة ومؤسساتها وإنما أيضاً بسبب الرفض المضمر لكل ما أتى به نظام البعث في السابق من نظم إدارية محلية. وبالتالي، وبسبب وعي السكان المحليين بأن هذا الفراغ الإداري يحتاج إلى بديل، وبسبب غياب أي وجود حقيقي لسلطة سياسية بديلة من طرف المعارضة، تحاول مبادرات أهلية سد الفراغ وتنظيم الشؤون اليومية للناس. "أبو حياة"، وهو رئيس مجموعة ميدانية من "قوى الأمن الثوري" المشكلة حديثاً في سراقب، يرى أن فجوة كبيرة ظهرت على مستوى التنظيم والأمن، وخصوصاً أن بعض الأشخاص استغل الفلتان الأمني بشكل سيئ. "هكذا فتحنا باب التطوع لقوى الأمن الثوري وعملنا على تشكيل مجموعات من المدنيين يقومون بتنظيم السير وضبط الأمن وأيضاً بالتنسيق لأمور خدماتية أخرى منها عمل البلدية في تنظيف الشوارع وإلقاء القمامة". تتبع هذه القوى إدارياً، بحسب "أبو حياة"، لتنسيقية المدينة ومن ثم لقيادة "الجيش الحر" فيها.

في أماكن أخرى من الريف كجرجناز وبنش وأطمة وتلعادة يمكننا تلمس نظم إدارية مشابهة وإن بدرجات متفاوتة من حسن التنظيم، تتوزع عملية الإدارة هذه بين المتطوعين من السكان وشيوخ المساجد والمرجعيات المحلية "كبارية الضيعة"، كما يطلق عليهم، إلا أن المرجعية العليا تبقى دائماً للجيش الحر، فعلى بطاقات متطوعي الأمن الثوري شعار الجيش الحر واسمه، وسجلات المدنيين من زوار وأهالي ينظمها أيضاً بعض قادة الكتائب، إذ لا سلطة مدنية هنا تعلو فوق سلطة العسكر. والجيش الحر مسؤول في النهاية عن تأمين مستلزمات العيش من مواد تموينية ومازوت وإصلاحات عامة كالطرق والكهرباء، كما أنه مسؤول عن تحقيق الأمن والاستقرار وضبط المخربين وعقاب المذنبين. وفي حين يبدو الوعي المدني بضرورة خلق سلطة بديلة عن سلطة النظام حاضرا وبقوة، تبقى قدرة السلاح على السيطرة على هذه السلطة واضحة ومهيمنة، فارضة نفسها مرجعاً نهائياً يحق له وحده اتخاذ القرارات المفصلية. إلا أنها تفتقد في الوقت نفسه إلى سلطة سياسية موازية تقوده وتنظم عمله.

في كل من ريفي حلب وإدلب، يعرف الجيش الحر نفسه كحام للمدنيين، ولكن ليس للدولة أو سلطة القانون، فالقوانين يسنها القادة العسكريون بالاعتماد على الأعراف الاجتماعية والدينية وأيضاً بحسب الحاجة، فتعذيب الأسرى من الأمن والشبيحة أو حتى من الأشخاص المشكوك في ولائهم أثناء التحقيقات يبدو مبرراً ومقبولاً عند معظم الكتائب. سألت العديد من عناصر الجيش الحر وقيادات الكتائب في مناطق عدة عن هذه المسألة بالتحديد. وفي كل مرة كانت تأتيني الإجابة نفسها: لا يمكن إجبار الأسرى على الإدلاء بمعلومات إلا بهذه الطريقة. وإذ تبدو الغالبية غير معنية باتفاقات مناهضة التعذيب الدولية ولا بالقانون الدولي الإنساني ولا حتى بالقوانين المحلية، تبرز معضلة أخلاقية وعملية، فكيف يتوقع من مجموعات الجيش الحر المفتقدة لقيادة موحدة ولمرجعية سياسية وقانونية أن تتولى الإدارة وتسد الفراغ التشريعي والتنفيذي والقضائي الذي خلفه غياب الدولة ومؤسساتها؟

يبدو الاستناد إلى مرجعية القوة والسلاح مدمجاً أكثر فأكثر في اللاوعي الجمعي لسكان تلك المناطق، وفي حين يشعر كثيرون بامتنان وعرفان لامحدودين تجاه "الجيش الحر" الذي تبدي عناصره استعداداً مذهلاً للموت دفاعاً عن الأهالي، يبدو التمرد على سلطة عسكرية أمراً غير مقبول سواء على مستوى الاعتراف بالجميل أو حتى خوفاً من تحدي سطوة السلاح. وفي حين يتم تشريع السلاح كبديل عن القانون، يبدو أن السوريين في المناطق المحررة قد سلموا قيادهم، بطيب خاطر أو من دونه، لسلطة عسكرية غائمة المعالم لا تزال ملامحها الحقيقية طور التشكل، تغيب عنها حتى اللحظة قيادة سياسية ومدنية شرعية تؤطر عملها.

من جداريات سراقب المحررة

# مهمة الأخضر الإبراهيمي..
# حلول جديدة أم عبء من أرض النفاق

■ ياسر مرزوق

إن ما يكتبه الناس في التاريخ هو الناس وليس التاريخ، وكأن السوريين اليوم في جملة من كتب عليهم الناس في هذا العصر أن يحشروا بين المظلومين.. فالقضية السورية لا تعالج على مستوى قيم الحق والعدالة والمساواة، إنها أدوات الزينة للأطماع الإنسانية، إنها تعالج على مستوى آخر مختلف من القيم "القوة والمصلحة".

اللحوم كلها طرية على القوارض أما لحم السوري فهو لحم السوق المباح للجميع، ونسأل لماذا، ربما لأن القيم الإنسانية لاتزال تصرخ فيه، لا يزال بشفةٍ مثقوبة وجسد مثقوب وأرض مثقوبة شاهداً على الوجع والخذلان. ففي سوريا الليل وحده يتجول بعيون عمياء، وفي الظلمة تستوي الأبعاد، ويصبح لكل شيء لونٌ واحد.. وحدها الخفافيش مصاصة الدماء، والأفاعي تتحرك في الليل، وحدهم اللصوص يرتعون..

المراقب للمشهد السوري، والتعامي الدولي عن نزيفه اليومي، لابد وأن يتذكر مقاطع من مسرحيتين عالميتين، الأولى بعنوان "كل شيء في الحديقة" للإنكليزي "جايلز كوب" والتي سخر فيها كوبر من أرض النفاق التي تضطرب عليها المجتمعات المتحضرة، حيث الاعتياد، المميت للإحساس، القاتل للشعور، فلا يلبث الممارس للرذيلة أن يجد قوة اندفاعه نحوها أقوى من النواهي عن فعلها، وشيئاً فشيئاً تتجرد الرذيلة من معناها وشذوذها وفي النهاية يستمرئها الشخص ليصبح مدافعاً عنها، وهذا حال المجتمع الدولي. أما الثانية فهي "سوء تفاهم" للكبير "ألبير كامو" والذي يقول على لسان بطلتها "إن ما هو إنساني عندي هو ما اشتهيه، وللحصول على ما اشتهيه سأحطم كل شيء يقف في طريقي" وهو نهج النظام..

في ملفنا اليوم نبحث في الجديد الذي يحمله "الأخضر الإبراهيمي" بعد فشل سلفه، إذا كان يحمل جديداً، أم أنه جزءٌ من أرض النفاق، لتقول الأمم المتحدة والعالم أنها لم تترك الشعب السوري لمصيره المجهول، وهي التي لم تعترف بفشل الحل السياسي وربما استحالته، ليس لشيء، إنما لتواطؤ المجتمع الدولي على عدم تقديم البديل مجاناً، فسوريا لا تملك نفطاً يتقاسمه المجتمعون فيما بعد، وحتى الآن لم يهدد حمام الدم اليومي أمن إسرائيل، الابن الشرعي للمجتمع الدولي القائم، وحتى ذلك الحين، فليترك السوريون في مواجهة مع الموت، وليشرف الإبراهيمي على مراسم العزاء والدفن إن وجدت.

عن مقال "لروبرت فيسك" وتحت عنوان "قوات الأمم المتحدة تترك سوريا لمصيرها الدامي" أنقل: "إن انسحاب القوات الدولية يفسح المجال لنشر الأسلحة الثقيلة، مضيفاً أن قائد قوات الأمم المتحدة في دمشق ودع مهمته البائسة، زاعماً بصورة غير مقنعة أن الأمم المتحدة لن تتخلى عن سوريا. ويري فيسك أنه كلما سحبت الأمم المتحدة قواتها من منطقة من مناطق الشرق الأوسط تبعتها كارثة تحل بالمنطقة التي انسحبت منها - علي سبيل المثال استتبع انسحاب مفتشي الأسلحة من العراق عام 2003 الغزو الأمريكي البريطاني، ويقول فيسك أنه مع رحيل مراقبي الأمم المتحدة لن يتم الاكتراث بالقواعد الإنسانية أو محاولات الإغاثة التي كانت تتوسط فيها الأمم المتحدة. كما أنه عندما سأل رئيس المراقبين الدوليين في سوريا عما يشعر به إزاء فشل مهمته، أجاب أن ما يواسيه هو استمرار بقاء الأمم المتحدة في سوريا. ولكن فيسك يري أنه لن يبقى أي أثر للأمم المتحدة في سوريا عدا مكتب صغير يضم طاقماً لا يتعدى عشرة أشخاص".

يتقاعد عنان في نهاية آب بعد ستة أشهر من توليه هذه المهمة قائلاً إن خطته للسلام في سوريا تعثرت بسبب انقسام وجمود مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وبعد أخذ ورد، أعلن أمين عام الأمم المتحدة بأن كي مون رسمياً تعيين الدبلوماسي الجزائري الأخضر الإبراهيمي مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا.

وأصدر مكتب الأمانة العامة في الأمم المتحدة بياناً قال فيه إن "أمين عام الأمم المتحدة مسرور إلى جانب أمين عام الجامعة العربية نبيل العربي - لإعلان تعيين الأخضر الإبراهيمي مبعوثاً خاصاً لهما إلى سوريا". وأضاف البيان أنه "يجب وضع حدّ للعنف ومعاناة السوريين"، وقال إن الإبراهيمي" يحتاج ويتوقع بشكل محق الدعم القوي والواضح والموحد من المجتمع الدولي، بما فيه مجلس الأمن". وشدد على أن الدبلوماسية هي أولوية لحل النزاع في سوريا بالنسبة للأمم المتحدة.

وقبل قبوله بالمهمة، قال الإبراهيمي إنه لا يريد أن يظهر بصفته مجرد بديل لعنان لكنه يريد تفويضاً معدلاً ولقباً جديداً، وقد استجاب المجتمع الدولي لنصف مطالب الإبراهيمي، فتبدل اللقب، وانتقلت الإقامة من جينيف إلى نيويورك، أما التفويض فلا نعرف مصيره. ومن غير الواضح بعد ما ستكون عليه الصلة الرسمية للإبراهيمي بالجامعة العربية، فالنظام قبل بعنان كمبعوث للأمم المتحدة فقط وليس مبعوثاً للجامعة العربية التي علقت عضوية سوريا سابقاً.

والإبراهيمي الذي بدأ مهمته، بإغضاب الجميع، فالمعارضة أبدت احتجاجها على تصريحاتٍ نفاها الإبراهيمي فيما بعد مفادها أنه من المبكر الحديث عن تنحي الرئيس، والنظام أبدى احتجاجه وعلى لسان وزير الخارجية على تصريحاته التي وصف فيها ما يجري في سوريا بالحرب الأهلية، من مواليد 1934 في عزيزة جنوب الجزائر، تلقى تعليمه في الجزائر وفرنسا ويتحدث الانجليزية والفرنسية بطلاقة إلى جانب لغته الأم. ويعتبر سياسياً ودبلوماسياً محنكاً، كان أول سفير للثورة الجزائرية في مصر، وتمتع الإبراهيمي بين عامي 2001 و2004 بسلطة تامة على الجهود السياسية والإنسانية وإعادة الإعمار التي قامت بها الأمم المتحدة في أفغانستان، وخلال الاجتماعات التي عقدها مجلس الأمن حول أفغانستان، شرح الإبراهيمي وبشكل حازم، محدودية تحرك الأمم المتحدة.

وبين مهمتيه الأفغانيتين، أوكلت إلى الإبراهيمي مراجعة عمليات حفظ السلام في العالم انطلاقاً من كونه مساعد الأمين العام للمهمات الخاصة، وترأس الدبلوماسي الجزائري لجنة مستقلة أعدت عام 2000 "تقرير الإبراهيمي" الذي فند نقاط ضعف نظام حفظ السلام في العالم ورفع توصيات لتطويره على المستويات السياسية والعملية والتنظيمية.

وبعد تعيينه مطلع 2004 مستشاراً خاصاً للأمين العام للأمم المتحدة مكلفاً خصوصاً تفادي النزاعات والعمل على حلها، اختير مبعوثاً خاصاً لعنان إلى العراق في الفترة الانتقالية التي تلت اجتياح عام 2003، ونسب إليه خلال مهمته العراقية انتقاده التعامل الأمريكي مع مرحلة ما بعد الرئيس السابق صدام حسين، ولاسيما ما عرف بقانون "اجتثاث البعث".

أما المهمة الأحدث التي أوكلتها إليه الأمم المتحدة فكانت رئاسة فريق للخبراء عام 2008، كلف إصدار توصيات لتحسين أمن موظفي المنظمة الدولية في العالم، وتعود اتصالات الإبراهيمي مع الأمم المتحدة إلى فترة ما بين العامين 1956 و1961 عندما كان مقيماً في جاكرتا كممثل لجبهة التحرير الوطني الجزائرية في جنوب شرق آسيا.

وبين العامين 1984 و1991، كان الأمين العام المساعد للجامعة العربية،

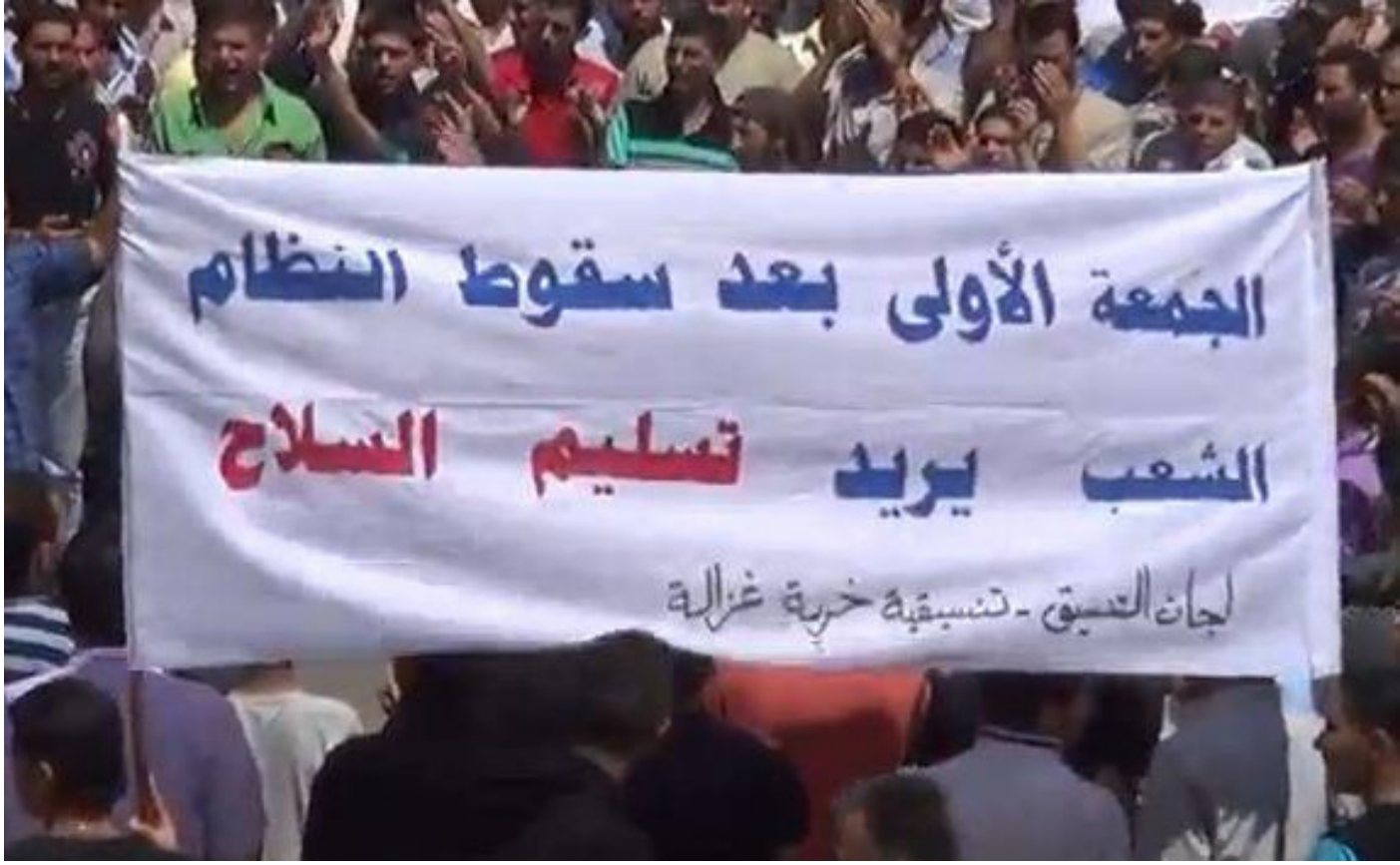


وهو الدور الذي حمله بين 1989 و1991 إلى لبنان كمبعوث خاص للجنة الثلاثية التي سعت إلى وضع حد للحرب الأهلية، كما كان سفير بلاده لدى القاهرة والخرطوم بين عامي 1963 و1970 ولدى بريطانيا بين عامي 1971 و1979، وسفيرا دائما في جامعة الدول العربية بين العامين 1963 و1970.

كما أنه عضو في لجنة الحكماء وهي مجموعة مستقلة تضم عدداً من زعماء العالم تأسست عام 2007 وتعمل من اجل السلام وحقوق الإنسان، وزار الإبراهيمي سوريا وقطاع غزة ومصر والأردن في تشرين الأول عام 2010، في إطار مهمة للجنة الحكماء للنهوض بالسلام في منطقة الشرق الأوسط.

قال الإبراهيمي عشية استلامه مهمته: "سنبحث بجدية شديدة كيف يمكنهم المساعدة. هم يطلبون مني أن أقوم بهذه المهمة، ولكن إن لم يدعموني، فهذا يعني أنه ليس هناك مهمة. إنهم منقسمون، لكنهم بالتأكيد يمكنهم أن يتحدوا على شيء مثل هذا، وآمل أن يفعلوا ذلك". ووصف الإبراهيمي الوضع في سوريا بأنه "مرعب تماماً"، متعهداً ببذل قصارى جهده لإيجاد سبيل لإنهاء الصراع الذي يضرب البلاد منذ أكثر من 17 شهراً. وقال: "إن الوضع في سوريا رهيب ومرعب للغاية. أنتم ترون ذلك على شاشات التلفزيون كل يوم، فالقرى والمدن تسوى بالأرض من خلال القصف". وتابع قائلا "لم يكن بوسعي أن أرفض قبول المهمة في مثل هذا الموقف حيث المئات والآلاف، وربما الملايين يعانون، وذلك بغض النظر عن مدى صعوبة الموقف". وتابع: "لا يمكنني التعقيب على خطة للسلام، لكن يمكنني القول إننا سنحاول حل هذا الصراع، واليوم أفضل من الغد"، "السوريون هم الذين سيصنعون السلام أو الحرب، ولا أحد آخر غيرهم، وسنكون هناك لمحاولة مساعدتهم بقدر ما هم مستعدون لقبول مساعدتنا".

الإبراهيمي الذي يطرق أبواب العقد الثامن من العمر بمسيرة دبلوماسية أممية ناصعة، تشوبها شائبة واحدة، عندما قبل بأن يكون وسيطاً أممياً في العراق بعد الاحتلال الأمريكي 2003 وجاء بفكرة مجلس الحكم ومزق وحدة العراق بزرعه بذور الطائفية وتأصيلها في الحياة السياسية العراقية، صرح لصحيفة النهار اللبنانية "أنه عندما كان وسيطاً لإنهاء الحرب في لبنان، لم تكن إمكانات النجاح فيه آنذاك أكبر مما هي الآن" في سوريا. ربما كان الهدف من هذا التصريح هو تصدير نوع من التفاؤل، إذ أن الواقع مختلف جذريًا والخلاف بيّن بين التجربتين، فأي قارئ للتاريخ يدرك أن المبعوث الأممي لم ينجح في حل الأزمة اللبنانية، بقدر ما فرض الواقع والتفاهم الدولي هذا الحل، فبغطاء أمريكي وتحت مسمى الطائف جرى تلزيم لبنان للراعي الإقليمي السوري، هو عقدٌ لم ينفك حتى عام 2005 دفع اللبنانيون ثمنه غالياً.

اعتاد السوريون مشاعر اليأس والخذلان من الأشقاء قبل الأصدقاء، فالدول العربية التي حاربت الاتحاد السوفيتي باسم الإسلام في آسيا وهزمته في أفغانستان بالمال والرجال والسلاح الأمريكي، وأفشلت خططه في إيطاليا وبولندا والكاريبي وإفريقيا أيضاً، وحاربت القومية العربية بالمال والسلاح في كل أرجاء الوطن العربي باسم الإسلام. تقف اليوم موقف المتفرج من الشعب السوري كون لا إرادة دولية لإنهاء الأزمة أو لتوافق دولي حتى الآن، وهنا لا أطالب العرب بتسليح تبنوه وحثوا عليه لفظياً، لكن عليهم الضغط المالي والمخابراتي على صناع القرار في العالم، لإنقاذ سوريا من التمزق والتفتيت، أم أنها نظرية المؤامرة التي يتبناها العرب دائماً بحسب تصريحات وزير الخارجية الفرنسي، ولم لا نستشعر المؤامرة ونحن نشتم رائحة مخطط "هنري كيسنجر" عام 1975 لتفتيت المنطقة، والذي لم ينجح حينها، أو نستشعر شبح اللبننة أو الصومله، مروراً بتوصيفات كل كيانات "المنطقة الرابعة"، بحسب تقسيم هنتنغتون.

لقد رحبت أمم الأرض بالإبراهيمي، لم لا وهي جرعةٌ مخدرة تعطي للعالم وقتاً قبل أن يواجه هول ما يجري في سوريا لينتقل السوريون من مشاعر اليأس والقنوط إلى السخط والغضب، فبحسب المبعوث أو المندوب أو الممثل الأممي وفي تصريح للنهار اللبنانية أيضاً، قال: "وأحدنا يجبّ أن يقبل الفشل إذا كان مكتوبا له الفشل.. فليأت غيري من بعدي وينجح إن شاء الله"، مؤكداً أنه "متسلح بالأمل" على رغم كل شيء. وكأن الزمن مجاني في عمر سوريا، وعداد الشهداء يقارب المئتين يومياً، في ظل إبادة جماعية ممنهجة، تجتاح الوطن تحت غطاء المبادرات والعبث والقبح الأممي.

السخط والغضب أيضاً من تصريحات، وزيرة الخارجية الأمريكية التي قالت: "رسالتي إلى المبعوث الخاص الإبراهيمي هي أن الولايات المتحدة تقف على أهبة الاستعداد لدعمكم وضمان تحقيق سلام دائم يحقق التطلعات المشروعة نحو حكومة ممثلة للشعب في سوريا". وأضافت أن رسالتها للشعب السوري هي: "أنت لست وحدك.. المجتمع الدولي مازال ملتزماً تماماً بعملية انتقال سياسي بقيادة سورية تودي إلى نظام سياسي تعددي يمثل إرادة الشعب.. والمجتمع الدولي ملتزم أيضا بضمان تحديد ومساءلة أولئك الذين يرتكبون الفظائع".

خلال الأزمة اللبنانية زار الإبراهيمي قصر الشعب في دمشق واليوم سيعود وفي جعبته البنود الستة:

- وضع حلول سياسية داخلية تأخذ بعين الاعتبار تطلعات ومخاوف الشعب السوري.

- وقف جميع أطراف النزاع لأعمال العنف المسلحة بكل أشكالها تحت مراقبة الأمم المتحدة، لحماية المواطنين.

- يجب على جميع أطراف النزاع أن تؤمن منافذ لإيصال المساعدات الإنسانية إلى جميع المناطق المتضررة من الصدامات المسلحة في البلد والامتثال إلى الهدنة الإنسانية لمدة ساعتين يومياً.

- يجب على السلطات السورية أن تطلق سراح جميع المعتقلين الذين شاركوا في الحملات الاحتجاجية فوراً.

- يجب على السلطات السورية أن تؤمن حركة حرة للصحفيين في كافة أنحاء البلد.

- يجب على السلطات السورية أن تحترم حرية التجمعات والحق في إجراء المظاهرات السلمية.

البنود الستة تعني حلاً سياسياً للأزمة وهذا يعني في مكان أو آخر تخلي الأسد عن الحكم والتحضير لمرحلة انتقالية وهذا ما يبدو مستحيلاً، فشلت مبادرة عنان والتي عكس فشلها، فشلاً دولياً وعربياً وداخلياً فتح الباب أمام جميع الاحتمالات العنيفة التي تعصف بسوريا أكثر من أي شيء آخر. وعوامل الفشل الداخلية والخارجية لفشل عنان، مازالت على حالها مع الإبراهيمي، الفارق الوحيد هو الأرض والميزان العسكري، هو ما تنتظره دول العالم لتبني عليه مواقفها، وسقوط سوريا بأسرها بات أمراً محتملاً، يأتي في هذا السياق سقوط النظام تحصيلاً حاصلاً، بعد أن قرر أن لا يترك بلداً للسوريين بل جراحا، وحدهما الزمن والنسيان كفيلان بعلاجها، مع هذا المشهد القاتم كان الأولى بالإبراهيمي إن لم يأت بجديد، أن لا يأتي أبدا..

في عددٍ سابق ختمت ملفنا مع قصيدةٍ للأبنودي، كان ختامها "الحل من جوا، الحل من جوا" واليوم أختمُ مع شاعر أكثر ترفا وهو شوقي جاهلي العصر الحَديث، مع قصيدته "نهج البردة" وما أحوجنا اليوم لمتنها:

**يا رَبِّ هَبَّتْ شُعوبٌ مِن مَنِيَّتِها**
**وَاستَيقَظَت أُمَمٌ مِن رَقدَةِ العَدَمِ**
**سَعدٌ وَنَحسٌ وَمُلكٌ أَنتَ مالِكُهُ**
**تُديلُ مِن نَعَمٍ فيهِ وَمِن نَقَمِ**
**رَأى قَضاؤُكَ فينا رَأيَ حِكمَتِهِ**
**أَكرِم بِوَجهِكَ مِن قاضٍ وَمُنتَقِمِ**
**فَالطُف لِأَجلِ رَسولِ العالَمينَ بِنا**
**وَلا تَزِد قَومَهُ خَسفاً وَلا تَسِمِ**
**يا رَبِّ أَحسَنتَ بَدءَ المُسلِمينَ بِهِ**
**فَتَمِّمِ الفَضلَ وَامنَح حُسنَ مُختَتَمِ**

# القابون في قلب الثورة

■ تجمع أحرار القابون

## لمحة تاريخية عن حي القابون الدمشقي

يقع حي القابون على بعد ٣ كم من ساحة المرجة، مركز مدينة دمشق. يحد الحي من الشمال برزة ومن الشرق حرستا وعربين ومن الجنوب جوبر.

يعود تاريخ القابون إلى العهد الآرامي حيث أن المنطقة كانت تعرف باسم "آبونا" ومعناها مكان تجمع المياه ثم حرفت الكلمة إلى القابون. وهي كلمة سيريانية تعني مكان تجمع المياه.

يمر بحي القابون نهرا يزيد وتورا، وهما فرعان من نهر بردى. وتتميز القابون بأنها مدخل دمشق الشمالي وفيها أهم عقدة مواصلات، وكثرت بها الشوارع والجسور عبر الأزمنة.

ويبلغ عدد سكان القابون حالياً قرابة 50000 نسمة ويعمل أهلها بالمهن الحرة واليدوية والتجارة والزراعة، وأشهر المساجد الموجودة فيها، الجامع الكبير (أبو بكر الصديق)، جامع العمري، جامع الغفران، جامع الشيخ جابر الأنصاري، جامع الحسن.

أبرز علماء الحي العلامة محمد حمزة والعلامة محمد علي منصور الحموي، وعلى المستوى العلمي لمعت أسماء كثيرة كالبروفسور حافظ أجنيد الذي أدهش الكثيرين في جامعات روسيا وبرع في علم الكيمياء والنبات.

وفي علوم اللغة العربية والفقه نبغ الشيخ أحمد حمزة والعلامة محمد حمزة، والعلامة محمد علي منصور الحموي الذي عرف بشجاعته وجرأته في قول كلمة الحق.

## القابون الحي المظلوم

على الرغم من أهميته التاريخية إلاّ أن حي القابون الدمشقي ظلمه التاريخ حيث بُعثر تاريخها كغيرها من القرى والبلدان بين الدروب والأزقة المعتمة، والزوايا المهجورة في مئات المجلدات والكتب التاريخية، ففي دمشق وقراها دُرٌ مكنون لا يعرفه إلا المحب لها ولمائها العذب وهوائها النقي وطيبة أهلها.

وتزايد ظلم الحي تحت حكم الأسد حيث عمد إلى مصادرة الأرضي وهدم البيوت وتقليص المساحة السكنية والزراعية وذلك بسبب حقده وخوفه من تكافل السكان الذين ثاروا في وجه قواته وسياساته قبل انطلاق ثورة الكرامة ونذكر من هذه الثورات ما عرف بانتفاضة التربة والتي خرج بها أهالي القابون نساء ورجال وأطفال في عهد الدكتاتور حافظ الأسد وما كان إلا أن لبى مطالبهم وألغى المشروع المزمع إقامته مكان المقبرة.

وهناك أيضا حادثة الأوتوستراد الدولي والذي انتفض على إثره أهالي القابون مطالبين بإقامة الأنفاق على الأوتوستراد الذي يمر بالبلدة ويقسمها إلى قسمين ولم تنتهي التظاهرة حتى لبيت مطالبهم.

وأطلق على القابون (البلدة المظلومة) لكثرة ما وقع عليها من مظالم عبر الأزمنة. ويشعر أهلها دائما عبر الحكومات أنهم مظلومون ومهملون فرغم كثافة السكان لا تجد فيها مشفى عدا عن استهلاك معظم أرضيها ولا تجد فيها ملعباً أو ناديا رياضيا.

وقامت حكومة الأسد باستملاك ما يقارب من 50 ٪ من مساحة الحي وبنوا الثكنات العسكرية للقوات الخاصة والحرس الجمهوري والشرطة العسكرية وكلية الشرطة المدنية وعدد كبير من الرحبات إضافة إلى فرع المخابرات العسكرية وفتح الطرقات السريعة في أراضي تعود لسكان هذا الحي دون أي تعويض يذكر وخيروا الأهالي بين إخلاء البيوت أو هدمها على رؤوسهم. وعلى الرغم من أن امتداد هذا الحي على رقعة جغرافية صغيرة فقد تمت إحاطته من مختلف نواحيه بأجهزة القمع والبطش الأسدية. فشملاً القوات الخاصة الشرطة لعسكرية فرع المعلومات، ومن الغرب كلية الشرطة، ومن من الشرق محطات الوقود العسكرية، وفي الجنوب رحبات المخابرات الثلاث ولواء المدرعات وفرع المخابرات الجوية.

وما زالت حتى الآن مساحات شاسعة من الأراضي تحت مشاريع الاستملاك للدولة ويمنع أصحاب هذه البيوت من تعميرها أو توسيعها أو حتى ترميمها أو زيادة مساحتها الأمر الذي زاد من فقر سكان الحي. ونزيدكم علما أن الدولة تمنعت عن بناء المدارس بالحي بحجة عدم وجود ميزانية لبنائها وطلبت من الأهالي تأجيرها مساكن ضخمة لجعلها مدارس لأبناء الحي فبادر الأهالي بذلك بتأجير الدولة عدد من المباني فما كان من الدولة إلا استملاك هذه المباني وأعضاء أصحابها مبالغة تافهة كإيجار سنوي لا يزيد عن خمسين ألف ليرة سورية في أفضل الحالات ونذكر منها مدرسة ميسون لصاحبها محمد سعيد الحموي ومدرسة أحمد المدني لآل الخطيب..

## القابون في قلب الثورة

بدأ مبكراً حي القابون وبكل شبابه بالانضمام لثورة الكرامة، فقد انتفضوا مرحبين بالحرية ومتحدين للاستبداد والعبودية، فقالوا كلمتهم وحاربوا الرصاص بالحجارة ولم يتوقفوا عن التظاهر السلمي اليومي أبدا.. فخرجوا بعشرات الآلاف وكان لهم الحشد الأكبر على مستوى العاصمة دمشق حيث تجمع ما يقدر بخمسين ألف متظاهر في زفاف شهداء مجزرة جمعة (أسرى الحرية) الذين كما غيرهم من الشهداء دفعوا ثمناً غاليا علينا ولكنه رخيص فداء لسوريا الكرامة.

وعلى الرغم من احتلال القابون من قبل عصابات الأسد إلا أن شبابها لم يستسلموا فأبدعوا بالمظاهرات المميزة والأفكار الجديدة فحملوا مظلات الحرية، واحتفلوا بالأعياد على طريقة الثورة..

وأبدعوا بالبث المباشر فظهر أبناء حي القابون على شاشات العالم متظاهرين وناطقين وناشطين. ومع استمرار العصابات الأسدية بالقتل الممنهج واستمرار الإهانات وقطع أرزاق العباد وتوسع حملات الاعتقالات والتعذيب المذل بالسجون لم يستسلموا مرة ولم يكونوا إلا شعلة منيرة في الثورة السورية ضد النظام فما كان من عصابات الأسد إلا أن زادت على الحي جروحا جديدة من خلال دعمهم شبيحة النظام بالسلاح والتغطية على أفعالهم ليقوموا بارتكاب المجازر وخطف الأبرياء من الحي والتي كان آخرها مجزرة ذهب ضحيتها 41 شهيداً بيد شبيحة النظام المجرم.

## أول مظاهرات الحي

بتاريخ 25 \ 3 \ 2011 خرجت أولى مظاهرات الحي، حيث انتفض الحي بأعداد كبيرة فاجأت النظام الأسدي، وخرج الأهالي ضد حكم الأمن والمخابرات، ضد العبودية والاستغلال، ضد حكم العائلة وضد الحكم الطائفي.

كان الرد العسكري والحل الأمني أولى الإصلاحات التي قدمها النظام لأهالي حي القابون كما فعل مع كافة الأحياء والمدن المطالبة بالحرية حيث انتشرت عناصر المخابرات للمرة الأولى مع خروج هذه المظاهرة وكانت حملة الاعتقالات الأولى في الحي بتاريخ 27 / 3 / 2011، وقاموا بالاعتداء على المارة بالضرب المبرح وتكسير المحلات واعتقال العشرات.

## المجزرة الأولى

رغم حملات الاعتقالات والتعذيب الوحشي استمر أهالي الحي بالتظاهر السلمي وبشكل يومي نصرة لكرامتنا المسلوبة ونصرة لمدينة درعا وحمص ودوما، الأمر الذي استفز النظام ومخابراته الذين أطلقوا الرصاص على آلاف المتظاهرين في الحي عندما كانوا يحاولون الوصول لساحة العباسيين الشهيرة فقتلوا على الفور 7 أشخاص 5 منهم من أهالي الحي و2 من أهالي بلدة حفير، هنا سقط أول شهداء العاصمة دمشق كان ذلك بتاريخ 22 / 4 / 2011 في الجمعة العظيمة.

## البعد الديني في الحي

أهالي القابون من المسلمين السنة، لكنهم لم يكونوا يوما طائفيين بل كانت طائفتهم، كما كل السوريين الأحرار، هي سوريا، سوريا الحرة والكريمة لكل شعبها، والتي لا تميز بين سوري وآخر على أساس طائفته أو مذهبه، واحتضنت القابون العديد من الأحرار السوريين الجرحى أو الجنود المنشقين من الطوائف الأخرى، ولم يكونوا إلا بين أهلهم وأخوتهم، ولكن نظام الأسد، الذي عمد طوال أربعين عاما على زرع الفتنة الطائفية بين أطياف الشعب السوري، حرص على زرع بعض التكتلات السكنية للموالين له من أهالي الضباط والعناصر والموظفين العاملين في الثكنات العسكرية والمخابرات والأمن العسكري الواقعة في القابون وما حولها.

وتعد المساجد والساحات العامة في الحي مراكز التجمع الأهم قبل الانطلاق في أي مظاهرة وهتاف "اللّه أكبر" العبارة التي تنشر القوة والثقة بالنفس بين أهالي الحي، ولما لها من تأثير وتخويف لعناصر النظام رغم ما يملكون من أسلحة ومعدات حربية.

## المجزرة الثانية

انكسر حاجز الخوف للأبد لدى كافة سكان حي القابون، وخرج الألوف في المظاهرات السلمية أيام الجمعة حيث بلغ عدد المتظاهرين ما يقدر بأربعين ألف متظاهر، الأمر الذي لم يكن ليقبله النظام أن تخرج مثل هذه الأعداد بأحد أحياء دمشق وهو الذي طالما حاول إبعاد العاصمة عن أجواء الثورة والحرية..

فبادر بقتل أربعة عشر شاباً خلال هجومه على مظاهرة أسرى الحرية وأصاب العشرات بجروح خطيرة. تلاه يوم السبت الذي

شهد اكبر تشييع في العاصمة دمشق ليتجاوز عدد المشيعين أربعين ألف من الأهالي وسكان دمشق الأحرار، من مختلف مناطقها وطوائفها، الذين شاركونا هذا العرس وهتفوا بصوت واحد (بالروح بالدم نفديك يا شهيد)..

## الاعتقالات والمداهمات

شهد الحي العديد من الحملات الأمنية المكثفة لإخماد جذوة الثورة السلمية فيه، كان أعنفها الحملة البربرية لعناصره، بتاريخ 22 / 7 / 2011، حيث تم تطويق الحي بشكل كامل بأكثر من ثلاثة آلاف عنصر من الفرقة الرابعة والمخابرات الجوية، وتم إدخال الأسلحة الثقيلة إلى الحي من قاذفات آر بي جي ورشاشات ثقيلة، وتم نشر القناصة على أسطح المباني، وقاموا باعتقال ما يزيد عن 1500 شاب من أهالي الحي، ظناً منهم أن ذلك قد يثني الشباب عن مواصلة المسير على طريق الثورة. لكنهم لا يعلمون أن من ذاق حلاوة الحرية مرة لن يعيده شيء إلى مرارة العبودية حتى لو كلفه ذلك حياته.. وتبقى هذه الحملات مستمرة بشكل يومي حتى الآن.

## أضخم العمليات العسكرية ضد الحي

في ليلة لم ولن ينساها أهالي دمشق عموماً وأهالي حي القابون خصوصاً وهي ليلة الاثنين 16 / 7 / 2012، شهد حي القابون في هذه الليلة قصفاً بالدبابات ومدافع الهاون والطائرات الحربية بشكل مباشر على السكان العزّل. استمرت هذه الحرب المرعبة خمسة أيام ليتضخم الأمر وتصبح حملة تهجير لأهالي دمشق من حي القابون، بجرف منازلهم ومحالهم التجارية وفي أثناء هذه الحملة سقطت الأحجار التي حملت خلفها آلاف القصص والحكايات لتاريخ حي حمل في أزقته ياسمين الحرية وذهب من الشهداء لجنان الخلد الكثير الكثير من أبناء الحي، ومعهم أحلام كانوا يتمنون تحقيقها من أجل وطن يتسع للجميع، ومستقبل ينمو فيه أبنائهم أحراراً، حتّى أصبح الحي خاوياً على عروشه، ورائحة الموت تملأ سماؤه، والدمار في كل أنحائه.

هذه هي ليلة الحرب الظالمة التي طالت أقدم وأعرق أحياء مدينة الياسمين. في مساء هذا الاثنين، شهدت المناطق على أطراف الحي إطلاق نار كثيف واشتباكات عنيفة بين كتائب الأسد والجيش السوري الحر، وامتدّت هذه الاشتباكات حتى امتدت إلى داخل الحي..

و بعدها فوراً قامت كتائب الغدر بقصف حي القابون بقذائف الهاون من جميع المحاور، حيث سقط في تلك الساعة على الحي أكثر من 15 قذيفة، وكان أزيز الرصاص لا يهدأ من جميع أنواع الأسلحة وبشكل مخيف حتى ساعات الفجر.

شهد الحي وشهدت دمشق لأول مرة إطلاق نار من رشاشات الطيران المروحي الذي حلق في سماء الحي لساعات طويلة وهي تطلق النار بشكل عشوائي وتستهدف المنازل في ظل هذا القذائف تنهمر على الحي من جميع الاتجاهات، وفي صباح اليوم التالي بدأت التعزيزات العسكرية تتمركز على مداخل الحي حيث تمركز عدد من الدبابات وبدؤوا القصف على الحي بشكل عشوائي وعنيف حتى بدأ يطول المنازل، رافق ذلك انتشار القناصة على أسطح المنازل الذين كانوا يستهدفون أي شيء يتحرك..

استمرت هذه الحملة الهمجية لمدّة 5 أيام بشكل متواصل قصف مروحي حتّى قصفوا الحي بالصواريخ ومدافع الهاون والدبابات، حتّى قامت كتائب الأسد باقتحام الحي في 20 / 7 / 2012 بعد اشتباكات عنيفة مع الجيش الحر وبعد تهجير الأهالي تحت وطأة القصف، ولم يبقى في الحي سوى حوالي 75 عائلة محاصرة داخل الحي بعد نزوح تجاوزت نسبته90 ٪ من السكان..

وبعدها بدأت كتائب الأسد بالتوغل داخل الحي ومناطق كحي تشرين - سوق التهريب، حيث دخلوا جميع منازل الحي دون استثناء يقومون بسرقة محتوياته وتخريب أثاثه. وبعض المنازل تم إحراقها كما حدث في منطقة البعلة وسوق التهريب حيث أحرقوا عدداً كبيراً من المنازل والمحال التجارية والسيارات.

استمروا على هذا الحال ليومين وأي شخص يقع تحت يدهم يقومون بالتنكيل به وذبحه. ما تم توثيقه من أسماء الشهداء في ذلك اليوم فقط بالاسم بلغ عددهم 99 شهيداً، بينما هنالك أكثر من 40 شهيداً لم يتم التعرف عليهم بسبب التنكيل وتشويه جثامينهم، كما أن هناك عشرات المفقودين لا نعلم مصيرهم حتى لحظة إعداد هذا التقرير.

## تدمير المنازل والمحلات التجارية والصناعية في الحي

عقب معركة دمشق الأولى واجتياح جيوش الأسد لحي القابون عمد النظام الحاكم للانتقام من أهالي الحي، وحاربهم في رزقهم وسكنهم، واستخدم آلياته المجنزرة وهدم ما يزيد عن مئتين وحدة صناعية في المنطقة الصناعية إضافة إلى نهب وسرقة وإحراق عدد كبير من المنازل خلال 3 أيام فقط وقبل عودة الأهالي النازحين والهاربين من القصف الجوي والمدفعي ولم يسمح لأصحاب هذه المحلات بإفراغ محلاتهم قبل الهدم لا بل قام بقتل كل شخص كان يحاول تفريغ محله قبل هدمه. وقد قاموا بتخريب المساجد وقصفها ونهبها وحرقها، واستهدافها بالرصاص والقذائف.

وكما ذكرنا فإن غالبية شباب الحي يعملون بالمهن الحرة وتشكل المنطقة الصناعية في الحي مصدر الرزق الأهم للعائلات ولكن بعد هدمها فقدت مئات العائلات مصدر رزقها الرئيسي، إن لم يكن الوحيد.. مما زاد من حجم المعاناة الإنسانية في هذا الحي المنكوب

## حرائر حي القابون في ظل الثورة السورية

كان لحرائر الحي دوراً بارزاً في ثورة الحرية والكرامة فهي الثائرة أم الشهيد وزوجته وابنته التي فقدت حنانه والتي تحملت فراقه أوقات اعتقاله في سجون الأسد وأعوانه، شاركت بالمظاهرات ورفعت أعلام الثورة ولافتات الحرية والكرامة، شاركت بالنضال السلمي فحاكت بأيديها الأعلام وصنعت طعام النازحين من المحافظات السورية الثائرة، واحتفلت بالذكرى الأولى للثورة السورية وذكرى أول مظاهرة في الحي وذكرى أول مجزرة ارتكبتها عصابات الأسد في الحي حيث قامت بالعديد من الأعمال السلمية ومنها غرافيتي الحرية وتوزيع المنشورات وهدايا رمزية لشباب الحي تعبيرا عن وقوفها إلى جانبهم في ثورة الحرية والكرامة.

كما كان لها نصيبها من بطش عصابات الأسد من اعتقال وقتل وتشريد كسائر حرائر سوريا اللواتي لم يقفن صامتين بوجه الظلم والاستبداد.

## الحالة الإنسانية في الحي

من المعروف أن غالبية أهالي حي القابون من الفقراء، وكرس فقرهم تجاهل الدولة لهم على مر العقود واستملاك أراضيهم دون أي تعويض.. وفي ثورة الكرامة تدهورت الأوضاع الإنسانية بصورة متزايدة مع تزايد عمليات الاعتقال والقتل وارتفاع أعداد المصابين.

بالإضافة إلى ما ذكر فإن عدداً كبيراً من الشباب العاملين والمعيلين لأسرهم اضطروا لترك أعمالهم بسبب مداهمة الجيش لمقار عملهم، الأمر الذي انعكس على حالة عائلاتهم المعيشية، وشهدت هذه الفترة تكافلا اجتماعياً مدهشاً، حيث دأب الناشطون على جمع التبرعات وتوزيعها على عشرات الأسر المحتاجة من أهالي الشهداء والجرحى والمعتقلين ومن هم متوارين عن الأنظار.

واستقبل الحي عدداً كبيراً من العائلات الحمصية التي نزحت عن مدينة حمص، التي كانت أولى المدن التي تعرضت للقصف وتكفل أبناء الحي بجمع التبرعات لتأمين المبالغ اللازمة لتغطية مصاريف إيجارات المنازل والفرش وتكلفة الطعام..

وتسارعت هنا وتيرة المعارك والقصف على الحي ومحاصرته بشكل شبه يومي وتدهورت الحالة الإنسانية بصورة أكبر حيث ترافقت الحملات على الحي بانقطاع التيار الكهربائي لأيام بل لأسابيع عن أجزاء الحي في اشد فصول السنة حرّ على الإطلاق.. حيث أصبح الحي بحاجة لكافة أنواع المساعدات الطبية والغذائية بشكل أساسي وتدهور الوضع الطبي والإنساني بعد قصف مركز الهلال الأحمر، ولا يوجد في الحي مركز آخر لاستقبال الجرحى والمصابين، وزاد المصيبة تدمير المنطقة الصناعية في القابون حيث قطعت أرزاق الآلاف من سكان الحي.. وأصبح جزء كبير منهم يعتمدون على المساعدات الخارجية التي لم تكف إلا لتغطية اليسير اليسير.. ونسبة الأضرار التي زادت عن خمسمائة مليون ليرة سورية، ناهيك عن تدمير كل البنى التحتية في الحي..

هذا التاريخ سطرته دماء الشهداء والعذاب الذي عاشه شباب الحي وأهله وحالة التشرد والنزوح التي حصلت نتيجة أفعال كتائب الأسد وشبيحته سوف يبقى في أعيننا كما سيكون بحاجة إلى التوثيق والعمل الدؤوب لتعبر عن حجم الثورة داخل الحي ولن تكفي هذه العجالة إعطاء حي القابون الدمشقي الثائر حقه، نظراً لما قدمه ويقدمه يومياً في سبيل سوريا حرة ديمقراطية لكل السوريين..

# سوريا في مهب الريح

■ خالد كنفاني

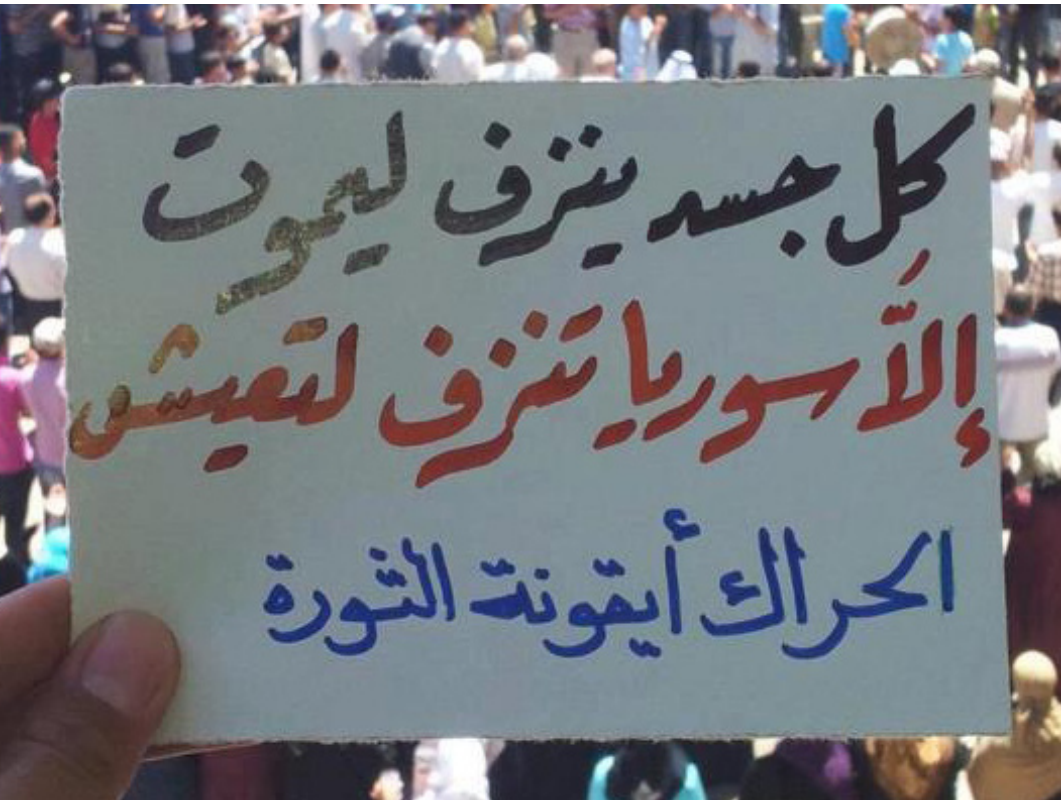


ماذا تبقى من كلام اليوم في سوريا؟

وهل لا زال الكلام يجدي؟

وهل للصوت صدى يرجع؟

ما بين الفعل ورد الفعل يسقط الناس ويتلاشى الوطن.

أولوية النظام هي "كسب الحرب" وأولوية المعارضة هي إسقاط النظام، ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة لدى الطرفين.

نأسف اليوم أن نقول "طرفين"، كان الأمر فيما مضى شعباً يتحدى نظاماً عاتياً ظلامياً جهنمياً أحرق أجمل سنين عمرنا في ترهات وسخافات تحت مسميات كثيرة.

أما اليوم، فالأمر بأيدي حملة البنادق، وسواء كان الأمر دفاعاً عن النفس (مع أنه لم يعد كذلك) وسواء كان لكسب الأرض، فالنتيجة هي تراجع الحركات المدنية والاجتماعية والشبابية لصالح الحركات المسلحة التي تعمل بنفس التكتيك على كلا الجانبين.

وكما عهدناهم، غادر المثقفون والمفكرون الساحة وتركوها لمن يرغب في اقتحامها واعتلاء كرسي قيادتها، فتاهت بوصلة الثورة أمام طوفان غاشم من الفرق المسلحة التي أعماها الحقد والكراهية مع أنها تحمل اسم "الجيش العربي السوري".

يتميز الجيش الحر وغيره من الفصائل المسلحة العاملة في سوريا عن الجيش المدعو "النظامي" بأمر واحد فقط: الحماسة الصادقة. فيما عدا ذلك يتساوى الطرفان في الرغبة بالقضاء على الطرف الآخر وكذلك في ضعف التخطيط وعبثيته في أكثر الأحيان، اقتحام الأحياء السكنية المكتظة والتمترس بها مما يزيد من الضحايا المدنيين بدل الحفاظ على أرواحهم.

يهرب الناس اليوم من كل المناطق التي يدخلها العسكر، وهذا ينطبق على الحالتين: الجيش الحر والنظامي. فالعنف والعنف المضاد يجعل من الحياة مستحيلة بل ومغامرة انتحارية لأن كلا الطرفين يسعى لأشياء بعيدة كل البعد عن حياة الناس وصالحهم.

لا أدري كم الاتهامات والشتائم التي ستنهال على كاتب هذه السطور بعد هذا الكلام، ولكن النظرة الموضوعية للأمر توضح الصورة بجلاء. علينا أن نبتعد عن الصور الرومانسية التي ترسمها قناة الدنيا لحماة الديار مثلما نبتعد عن الطوباوية التي تسبلها قناة العربية على الجيش الحر، فكلا القناتين لا تذكر شيئاً عن أخطاء من تدعمه أو تجاوزاته، والأمر بالطبع نسبي، ولكن المراقب المحايد يلحظ الجنوح الإعلامي لقناة العربية في دعم الثورة السورية بشكل أعمى، حتى أن البعض يتندر اليوم بأن بإمكانك إرسال أي شيء لقناة العربية لتنشره فوراً وبدون تردد.

هي السياسة التي أرادت وضع الجيش الحر في خانة مناضلي الحرية ووضع متظاهري البحرين في خانة صنّاع الموت.

لا يريد معارضونا أن يبدؤوا دروسهم الأولى في السياسة فهم يعتبرون أنفسهم أساتذة فيها، وهكذا تفقد كل الهيئات والمجالس والأمانات والتجمعات صدقيتها وحضورها وشعبيتها (إن وجدت) بسبب التخبط والمثالية الرومانسية للكثير منهم وكأنهم لا يزالون يعيشون في المعتقلات التي خرجوا منها منذ أكثر من ربع قرن.

تتشكل حكومات انتقالية وغيرها دون أن يستشار هذا الشعب اليتيم، وكأن قدره أن لا يختار شيئاً بنفسه، ولكن مؤسسي هذه الحكومات نسوا في لحظة ما أن هذا الشعب الذي يثور اليوم لم تعد تملأ رأسه الأفكار والطروحات التي تأتيه جاهزة ومعلبة، ولهذا لم يعد أحد يعبأ بكل هذه التجمعات والحكومات، لا الشعب السوري المشغول بلملمة أشلاء جثث أولاده ولا الدول الكبرى التي بدأت بالسأم فعلاً من هذه المعارضات المتعارضة.

كل من ينتقد الجيش الحر خائن للثورة، وكل من ينتقد معارضاً معروفاً بصياحه خائن للثورة أيضاً، والأسوء أن من ينتقد منشقاً من أولئك الذين التهموا الأخضر واليابس فيما مضى فهو خائن للثورة ويوهن نفسية الثوار والشعب. لماذا يصر الجميع على استخدام نفس المصطلحات التي استعملها النظام لوصف معارضيه ومحاكمتهم الصورة أمام محاكم أمن الدولة؟ السبب واضح، ليس لديهم غير ذلك، فهم اعتادوا عليه ومن يريد أن ينتج جديداً عليه أن يكون من خارج هذه البيئة القمعية الأحادية. والنتيجة مزيد من الاستقطاب الاجتماعي والطائفي والثقافي والفكري غير المسبوق.

مجموعة من الأهالي الشيعة في إحدى قرى ريف دمشق تستنجد الآخرين من بطش بعض من يخطفونهم ويجبرونهم على هجر بيوتهم ثم يخرج علينا من يتحدث عن الوحدة الوطنية! الوطن يتمزق يوماً بعد يوم منذ الاحتكار الطائفي للمناصب والوظائف وحتى اليوم، وهل سيكون رد الفعل راقياً ونبيلاً وحالما كما يرسم بعض المعارضين ذوي السبات الشتوي؟ هذه ثورة كغيرها من الثورات، هي انفجار تطير شظاياه في كل الاتجاهات، يمكننا عادة التحكم بموقع الانفجار ولكن من شبه المستحيل التحكم بالشظايا المتطايرة، وهذا أمر طبيعي يجب أن يفهم في سياقه الاجتماعي والتاريخي لا أن يتم التعالي عليه والتعامي عنه بطريقة ساذجة كما أفلام الأطفال.

الرياح التي تعصف بهذا الوطن أشد وأعتى من أن يحتملها على مدى طويل، صحيح أن التاريخ مليء بالمآسي والكوارث التي مرت على سوريا وتجاوزتها، ولكننا نتحدث اليوم عن سوريا بالمفهوم الجغرافي التاريخي الحالي وليس عن المدن السورية التي عاشت كل منها تاريخاً منفصلاً عن الأخرى في كثير من الحقب التاريخية. سوريا بشكلها وكيانها المعروف اليوم مهددة بالتقسيم والضياع إلى غير رجعة. وملامح هذا التقسيم واضحة ومقدماته موجودة ومعروفة. وفي ظل وجود إرادة دولية بعدم التدخل في سوريا جدياً أو حل هذه المسألة العصية على الفهم، فلن يكون هناك شيء ينقذ هذا الوطن من التقسيم والتقتيت لأن الكثيرين سيجدون في ذلك الملاذ الأسهل والأضمن لهم. نقولها وبكل أسف: لم يتحول هذا الوطن منذ استقلاله إلى وطن حقيقي يضم أناساً بهوية وطنية حقيقية، وإنما كل ذلك كان على الورق وحسب، ولكن الملاذ الأخير لكل المواطنين كان على الدوام إما العشيرة أو الطائفة أو القرية، ومن لم يعش في سوريا خلال الأعوام الماضية لن يفهم هذا الحديث. كانت هناك الكثير من الحالات التي تجاوز فيها بعض السوريين الحدود العشائرية والطبقية والطائفية ولكنها كانت محدودة بالمقارنة بالإجمال العام كما أنها كانت تجارب منفردة عانى أصحابها من عواقب تجربتهم أكثر مما استمتعوا فعلاً بنتائج هذه التجربة.

لم نعد قادرين على التنظير واستشراف المستقبل في ظل التطورات الميدانية الخطيرة كل يوم، وصار حسبنا أن نعد عدد القتلى ونمسح دموع الأمهات الثكالى، فلون الدم غطى على أبصارنا وعلينا أن نعيش المرحلة الانتقالية بكل أبعادها ومخاطرها علّ أحفادنا يكونون قادرين على بناء وطن عصري بروح جديدة.

آخر الكلام: يقول الشاعر القروي:

**وأنتم يا شباب اليوم يا سنداً**
**لأمة لا ترى في غيركم سندا**
**ناشدتكم بدماء الأبرياء ألا**
**لا تذهبن دماء الأبرياء سدى**

# هل ما زال الرهان على سقوط النظام اقتصادياً قائماً؟

■ تيم الشامي

كانت الرهانات منذ البداية تتضمن بشكل أو بآخر الرهان الاقتصادي، وكان هذا الرهانُ يتضمن نفاذ المخزون النقدي لدى النظام وبالتالي عدم قدرته على تحمل تكلفة عمليات القمع، وقد كان هذا الطرح موجوداً أثناء اقتصار عمليات النظام على قمع الحراك السلمي، وقبل أن يتحول لمعركة عسكرية واسعة النطاق يستخدم فيها مقدرات الجيش بدلاً من الاستعانة بها في حالات الضرورة فقط واعتماده بشكل أساسي على القوى الأمنية لقمع الثورة، ولكن إلى أي حد هذا الرهان مازال قائما اليوم؟

برأيي هذا الرهان لم يعد يعتمد عليه، فقد كان الجزء الأساسي من الرهان هو عدم قدرة النظام على قمع الحراك السلمي وخروج الاحتجاجات والمظاهرات عن نطاق قدرته على القمع، وفي جزء آخر من الرهان كان عدم قدرته على دفع أجور العاملين في القطاع العام (أو الحكومي) وعلى رأسهم عناصر القوى الأمنية المكلفة بشكل أساسي بممارسة عملية القمع وبالتالي دفعهم لدعم الحراك الثوري أو على الأقل عدم الوقوف في وجهه، ولكن اليوم برزت عدة عوامل حدّت من إمكانية الاعتماد على هذا الرهان:

• انتقال العمل الثوري من السلمي بشكل أساسي إلى المسلح، الأمر الذي يجعل النظام قادراً على اكتساب مصداقية أكبر عند المؤيدين له من الصعب نزعها بسهولة بسبب ضغوط اقتصادية، إضافة لصعوبة الانضمام لصفوف الثورة بعد هذا التحول، فسابقاً كان من الممكن الاعتماد على انضمام الذين يتعرضون للضغط الاقتصادي من قبل النظام إلى الاحتجاجات، ولكن اليوم مع تفاقم تسليح الثورة وتراجع العمل السلمي إلى حد كبير بات من الصعب على هؤولاء الانضمام بشكل مؤثر، لسببين؛ أولهما الحساسية التي ولا بد يملكونها تجاه التسليح بعد الزخم الإعلامي الذي يتعرضون له من قبل إعلام النظام منذ بداية الثورة، ولانعدام قدرتهم

منطقياً على دعم الجانب الأكثر نشاطاً في الثورة اليوم، والمكلف مادياً وبشرياً.

• تمكن النظام من تعويض النقص الذي بات واضحاً في موارده المالية عن طريق قروض من الدول القليلة التي ما زالت داعمة له، والتي لسوء الحظ هي دول رائدة اقتصادياً، وآخرها وليس أخيرها القرض الذي تعهدت إيران بتقديمه بقيمة مليار دولار في بداية شهر آب الجاري، إضافة للصفقات التي لا نعرف تفاصيلها والتي ربما يكون أحد أشكالها صفقات سلاح تجري مع روسيا وتكون مؤجلة الدفع، وبالتالي حصوله على المساعدة التي يحتاجها للاستمرار بعملياته العسكرية دون أن يضيف ضغطاً مالياً جديداً على الأقل في المستقبل القريب.

• قيام النظام بتقديم حلول مؤقتة لنقص السيولة، والتي تمكنه ولو مؤقتاً من دفع أجور العاملين في الدولة، على رأسها قيامه بطباعة كميات كبيرة من الأوراق النقدية في روسيا، والتي ستقدم حلاً مؤقتاً ولكن انعدام دعمها المالي سيتسبب على المدى الطويل بآثار سلبية كبيرة على سعر صرف الليرة في المستقبل البعيد إن لم تكن هناك سلطة بديلة عن هذا النظام تقوم بإصلاح الجرائم المالية التي قام بها.

الرهان الاقتصادي الذي كان في البداية نجح ربما في دفع بعض النخب الاقتصادية للابتعاد عن النظام والتوقف عن تقديم الدعم المعنوي وأحيانا المادي له، وتجسد ذلك واضحاً مع ظهور الإضرابات في الكثير من أسواق دمشق الرئيسية، ولكن ذلك لن يكون كافياً، أو على الأقل لن يكون العجز الاقتصادي للنظام كافيا لانهياره، وإنما سيكون مجرد عامل يدعم تفوق المعارضة المسلحة، رغم أنهُ يبدو لي من المستحيل أن تتمكن المعارضة المسلحة من الصمود اقتصادياً – آخذين في عين الاعتبار الكلفة شديدة الارتفاع للتسلح واستمراره - لوقتٍ أطول من النظام.

# زبالــــةٌ، زبالَــــهْ

■ جمال منصور

بين حاوياتِ الزبالةِ الخضراءِ
المستلقيةِ كأنْ تفردُ رجليها على أرصفةِ
المدينةِ،
كعاهراتِ المرجةِ
أو رجالِ المخابراتِ القساةِ؛
لا موطئَ لقدم
لِصقَ جدارِ مدرسةِ الفرنسيسكانِ،
المرشوشِ بخرابيشِ المراهقينَ
الممحونةِ
إذْ ننتظرُ، بصبرٍ فارغٍ
- نحنُ البائسونَ
فارغو الأرواحِ
المحشورونَ، كالجرذانِ المضحكةِ،
الجربةِ -
خروجَ باصِ البناتِ
لعلنا،
نحظى، ولو من على البُعدِ،
برؤيةِ شيءٍ غامضٍ مثيرٍ
بأكثرَ قليلاً
من حياتنا
الـ سنقضيها، على الأغلبِ،
واقفينَ
بينَ حاوياتِ الزبالةِ الخضراءْ...
[حاوياتْ - جرذانُ الفرنسيسكانْ]
***
على أرضِ هذي البلادِ المعطرةِ
برائحةِ العشبِ/روثِ البقرِ/بولِ العساكرِ،
في كلِ زاويةٍ/مـازوتِ الباصاتِ الـ تذهبُ
إلى كلِ مكانٍ/إلى لا-مكانْ
ارتميناْ
ببزاتنا العسكريةِ النتنةِ -
كما لو كنا تلكَ النعالَ
وشحاطاتِ البلاستيكِ
والشواليخَ الرخيصةِ
المرميةِ، بلا سببٍ
بلا اكتراثٍ
على مدخلِ الجامعِ
لتتعفنَ تحتَ شمسِ هذي البلادِ الوقحةِ
كما كلِ شيءٍ
كما كلِ شيءٍ...
[نعالْ]
***
كم أكلنا
من خراءِ هذا الوطنْ،
كم من ضرسٍ كسرنا
ببحصِ الوطنِ المرشوشِ بكلِ كيدٍ
في صحونِ الشوربةِ، الـ تشبهُ بولَ
المساعدِ،
كم من رغيفٍ
- كأنْ من أسمنتٍ، صنعوهُ لنا -
ازدردناهُ بسرعةٍ
وصمتٍ
وانكسارٍ
تحتَ سماواتِ معسكرِ مصيافَ / تحت
نعالِ الضباطِ، قساةِ القلبِ، واليدينِ،
والبساطيرِ / تحت شعاراتِ البعثِ الرنانةِ
الفارغةِ العاهرةِ / تحت أنظارِ الصورةِ
العملاقةِ الدميمةِ لحافظِ الأسدِ،
الموشومةِ على جدارِ المعسكرِ
لعلنا؛
نُسكتُ الجوعَ إلى شيءٍ
يشبهُ الآدمية
ولم يسكت الجوعُ
ولن يسكتْ...
[هذا الجوعْ]
***
أراهُ في رأسي، كل يومٍ
ذلكَ الزبالَ
الـ كان يرتدي بذلتهُ الاستفزازيةَ الكحليةَ
ووجههُ المحدودبَ المحفورَ
بآثارِ شفراتِ الحلاقةِ المثلومةِ، الـ كانتْ
/ بالصفعاتِ / ببصقاتِ عناصرِ المخابراتِ
/ بخراءِ السنواتِ
كلما رأيتُ أكياسَ الزبالةِ
الـ تشبهُ حياتنا
إذ نتكومُ على الأرصفةِ، بلا اكتراثٍ
فوقَ بعضنا
على الهوامشِ
تبولُ علينا الكلابُ،
ليأخذنا زبالو الدولةِ إلى المكبِ -
إلى المكبْ...
[زبالةٌ، زبالَهْ]

# في خصوص الثورة السورية والأخلاق

■ ياسين الحاج صالح

تثار بين حين وآخر قضية «أخطاء الثورة» في أوساط الطيف السوري المهتم بالشؤون العامة. احتد النقاش بمناسبة إعدام شبيحة من آل بري قبل أسابيع، ثم عند بث فيديو يظهر رمي أشخاص، قيل إنهم قناصة، من سطح مبنى متعدد الطبقات في بلدة الباب في حلب.

ليس هذا النقاش ضرورياً فحسب، بل هو علامة على حيوية الثورة وتعدد أبعادها. لا يغير من ذلك أن غير قليل منه يبدو أكثر انشغالاً بترصد زلاتها منه بتصحيح ممارساتها، ويعطي الانطباع بأنه يبحث عن ذريعة كي يقف ضدها. ولكن، مع طول أمد الثورة واتساع نطاقها، ومع ما هو معلوم من لامركزيتها الشديدة، سياسياً وعسكرياً وأيديولوجياً، تلح الحاجة إلى الخروج بالنقاش من نطاق «نقد الأخطاء» إلى إدخال آلية تصحيح ذاتية أو مأسسة النقد عبر إطلاق نشاطات سياسية وإعلامية وحقوقية تهدف إلى حماية قيم الثورة وتوسيع قاعدتها الأخلاقية. والواقع أن هناك ممارسات تصحيحية استدركت على بعض التجاوزات، واستجابت بصورة مؤثرة لموجات اعتراض على تلك التجاوزات، إلا أن تلك الممارسات ظلت، مثل نقد الأخطاء ذاته، أفعالاً ظرفية لا تنشغل بها هيئات محددة ولا تنضبط بآليات عمل واضحة. هذا ما يتعين تجاوزه اليوم، وظروف تجاوزه متاحة. لم يعد صعباً إصدار جريدة صغيرة توزع ورقياً وتنشر على النت وتعنى بهذه القضية (هناك الكثير من الجرائد السورية الجديدة اليوم)، وليس متعذراً تشكيل مجموعة من ثائرين ميدانيين وناشطين حقوقيين وإعلاميين مشاركين في الثورة تهتم برصد انتهاكات الثائرين. القاعدة الاجتماعية للعمل العام واسعة جداً في سورية اليوم، ويمكنها، وينبغي لها، أن تتمايز تلبية لحاجات ووظائف جديدة.

ما كنا نأخذه على النظام هو افتقاره آليات إصلاح ذاتية (صحافة حرة، قضاء مستقل، معارضة سياسية...)، وتطويره بدلاً منها آليات لإضفاء الكمال على سياساته ومنع انتقادها أو الاعتراض عليها. هذا آل عبر العقود إلى قانون تطور خاص بالنظام السوري وأشباهه، هو البقاء للأسوأ، للأكثر فساداً واستعداداً للتزلف وانعدامها للكفاءة والضمير، بينما كان يُطرد إلى الهامش أو خارج البلد الأكفأ والأكرم من السوريين.

والتدهور الوطني الذي عرفته سوريا في ظل الحكم البعثي والأسدي تولد أساساً عن افتقاره آليات إصلاح وتوفره على آليات إفساد وفيرة، أساس جميعها السلطة المطلقة. منبع شر النظام هنا، ومنه انبثق عدد من الأشرار الكبار من نموذج الأخوين أسد وعلي مملوك وجميل حسن وأشباههم. وظهور مثل هؤلاء ممكن أيا تكن عقائد الحاكمين وأصولهم وفصولهم، وهو ما تحتاج الثورة إلى التحسب له منذ اليوم.

وليس الهدف من حماية قيم الثورة تجنب الأخطاء والخطايا، هذا صعب اليوم، بل ممتنع. الهدف هو تشكل ضمير جمعي أو غريزة أخلاقية تتأصل في جسم الثورة، تسير معها وتتطور معها ولا تكف عن محاسبتها. أي هو بالضبط آليات التصحيح والإصلاح المأمولة. ما يتشكل اليوم يرسخ في الغد، والتشكيلات الركيكة التي نحاول بناءها اليوم قد تصبح تقليداً أصيلاً في المستقبل.

لا يستقيم الكلام على حماية قيم الثورة إلا على أرضية انحياز كلي إلى الثورة وتأسيساً على عدالتها الجوهرية. من يعترض على الثورة أصلاً في غير حاجة إلى تسقط زلاتها. وإذا أردنا التعبير عن الأمر بوضوح فإن من لا يدين النظام ويطالب بإسقاطه فوراً فاقد الأهلية الأخلاقية لنقد الثورة أو التحفظ على أشد أفعالها سوءاً. هذا على كل حال مجرد تعريف لكون المرء مع الثورة.

لكن العدالة الجوهرية للثورة لا تضمن بحد ذاتها أن العدالة محققة تلقائياً في سيرورتها (وفيها مقدار كبير من الاضطرار) أو في عملياتها الاجتماعية والعسكرية والسياسية، وأيا يكن ما نفعله أو نمتنع عن فعله. فهذا ضرب من تقديس الثورة، يمكن أن يكون بالغ الخطورة بعد انتصارها أكثر مما هو اليوم. يحجبه اليوم أن بيئات الثورة تتعرض للعدوان من قبل نظام شهير بخسّته وفساده ووحشيته.

ولكن ليس هناك ما يوجب أن تكون البصيرة الأخلاقية للثورة عمياء سياسياً. من يعتبر مجرد ظهور مكون عسكري للثورة خطأ يضع نفسه عملياً فوق عملياتها الفعلية، وينتقدها باسم قيم مجردة، لا تبالي بالعمليات الاجتماعية والفكرية والنفسية والسياسية التي تجري في البلد طوال نحو عام ونصف العام. هنا القيم منفصلة عن مجال الممارسة الفعلي، تنقل إليه ناجزة من خارجه (على نحو ما ينقل الوعي الثوري إلى الطبقة العاملة في نموذج التنظيم اللينيني)، فإما تعتنقها الثورة، وإلا ينكرها أصحاب هذه الدوغما ويخرجون منها. يشكل هؤلاء بالضبط موقعاً طرفياً مقابلاً لمن يعتبرون أن الثورة مكتفية ذاتياً أخلاقياً، أو أنها بحد ذاتها معيار أخلاقي، فلا حاجة بها إلى تطوير ضمير خاص.

لقد فرضت الحرب على الثورة ولكن، لا شيء يحول جوهرياً دون أن تنضبط الحرب بقواعد وأصول عادلة تتوافق مع قيمها، وسنكون في أفضل وضع للتأثير في هذا الاتجاه من موقع المشاركة العملية في نشاطات الثورة. وبينما لا وجه عادلاً للاعتراض على انتشار التدين في أوساط الثائرين، وهو محقق، فإن وضع النفس في مستوى الثورة والمشاركة في عملياتها هو ما يتيح أيضاً إشغال أفضل موقع ممكن للاعتراض على صيغ التدين المتعصبة والإقصائية.

«السياسة» الأخلاقية التي ندافع عنها هنا تفاعلية، ترى أن الثورة عملية حية، وتطورها يقتضي تمايز وظائف ونشاطات ومؤسسات جديدة، أخلاقية وفكرية وسياسية... تستجيب بأفضل صورة لهذا التطور. ما نرفضه هو نقل أخلاق جاهزة (ووعي جاهز) إلى ثورة يفترض أنها مجردة منهما؛ ولا نقر في المقابل بالاكتفاء الفكري والأخلاقي للثورة. والموقفان أقرب إلى بعضهما مما يبدو. لينين هو صاحب نظرية نقل الوعي (الثورة في خدمة وعي سابق عليها)، وهو من جعل من الثورة معياراً للأخلاق (الأخلاق في خدمة الثورة). النتيجة كانت سيئة أخلاقياً وفكرياً.

الثورة السورية التي فازت بمعركة الحقيقة عبر تغطية نشاطاتها وتوثيق وقائعها وشهدائها، وسجلت مستويات مرموقة من التضامن عبر شبكات إغاثة منظمة، يمكن أن تكسب معركة العدالة أيضاً بتصحيح أخطائها ومحاسبة نفسها.

الحياة اللندنية 19 / 8 / 2012

# استدعاء رئيس الأمن الوطني السوري إلى لبنان قانوناً

■ ياسر مرزوق

بالرغم من اشتعال المنطقة على كل الصعد كان العنوان الأبرز للصحف اللبنانية والعربية في الفترة السابقة، نبأ إقدام فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي اللبناني على توقيف الوزير والنائب السابق "ميشال سماحة " من منزله، للتحقيق معه بتهمة التورط في مخطط لتنفيذ تفجيرات في منطقة عكار الشمالية لمناسبة إقامة إفطارات، وتستهدف شخصيات سياسية وغير سياسية.

وأثار توقيف سماحة، المؤيد بقوة لقوى 8 آذار والمعروف عنه قربه الشديد من القيادة السورية، لغطاً في الأوساط السياسية واعتراضاً من القوى والشخصيات السياسية الحليفة له، ما لبثت حدته أن تراجعت مع تأكيد النائب العام التمييزي بالإنابة القاضي سمير حمود أن التوقيف تم باستنابة قضائية منه، وأنه زار سماحة في مكان توقيفه في المقر العام لقوى الأمن حيث بوشر التحقيق معه، وبعد تأكد بعض كبار المسؤولين الذين استفسروا من الجهات الأمنية، من أن الخطوة جاءت بناء على قرائن وإثباتات لا ثغرات تشوبها، حول التهمة التي اشتُبه بضلوع سماحة فيها.

ونتناول اليوم في زاويتنا القانونية موضوع توقيف النائب المذكور، والادعاء على أحد قادة الأجهزة الأمنية السورية لتورطه بالجرم المذكور، وعن مدى إمكانية استدعائه للبنان قانوناً، وذلك في ضوء الاتفاق القضائي الموقع بين البلدين.

هذا وقد أشارت المعلومات بأن توقيف سماحة تم بعد توافر معطيات قبل أيام من حلول شهر رمضان المبارك عن أن مخططاً يحتمل تنفيذه أثناء حفلات الإفطار التي تقام في منطقة عكار عبر إحداث تفجيرات تقود إلى تأليب السنّة على المسيحيين أو السنّة على العلويين في المنطقة، ولإحداث بلبلة وحال من عدم الاستقرار، بالاستفادة من الاحتقان الذي حصل بعد مقتل الشيخين أحمد عبد الواحد ومحمد مرعب في أيار الماضي، وتأليب مجموعات سنية على ردود فعل إزاء حصول هذه التفجيرات.

يُشار إلى أنه في العام 2007 صدر قرار أميركي يمنع دخول ميشال سماحة وعدد من الشخصيات الموالية للنظام السوري، إلى الولايات المتحدة بحجة التورط أو إمكانية التورط في زعزعة الاستقرار الأمني والاقتصادي للبنان.

وقانوناً لا وجود لأي إلزام قانوني يشوب طريقة التوقيف، فالموقوف نائب ووزير سابق لا يتمتع بأي شكل من أشكال الحصانة، وبذلك يكون ما قام به فرع المعلومات قانونياً، إلا أنه يتوجب إحالة هذه القضية إلى المجلس العدلي فهي تدخل في صلب صلاحيات هذا المجلس توفيقاً لأحكام المادة 356 فقرة «د» وفقرة «أ» من قانون أصول المحاكمات الجزائية، فما تم تناوله في الإعلام يدور حول جرائم واقعة على أمن الدولة الخارجي والداخلي والجرائم الواقعة على السلامة العامة وكان من شأنه لو تحقق إثارة الفتن المذهبية والدينية والطائفية وإثارة الشغب.

أما ما يثار عن عدم قانونية التسريبات، فالكلام هنا في محله، إذ أن قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني حسم هذا الموضوع في المادة "53" عندما نص على أن التحقيقات تبقى سرية ما لم تحل الدعوى إلى المحكمة. باستثناء ما يتعلق بالقرار الاتهامي، لكن القانون وفي الوقت عينه لم يضع أي عقوبات على من قام بالتسريبات الإعلامية، خاصة أن القضية شديدة الحساسية لجميع الأطراف في لبنان.

وعن الموقف الرسمي للحكومة اللبنانية والخطوات التي يجب اتخاذها بعدما ادعى القضاء على النائب السابق سماحة ورئيس الأمن الوطني السوري اللواء "علي مملوك"، فسياسياً يعتبر الموقف الصادر عن رئيس الجمهورية اللبناني موقفاً غير مسبوق، حتى في زمن الرؤساء الكبار ككميل شمعون مثلاً، فمنذ الاستقلال لم يطلب القضاء اللبناني استدعاء مسؤول سوري على هذا المستوى، ووقوف الرئيس سليمان إلى جانب القرار القضائي قد يكون تطوراً باتجاه بناء علاقات صحية وسليمة بين البلدين.

أما قانوناً فالاتفاقية القضائية بين لبنان وسورية تتيح لسورية عدم الاستجابة لمذكرات القضاء اللبناني بحسب المادتين 3 و4 من الاتفاقية المذكورة والتي جاء نصهما بما يلي:

المادة 3:

يجوز للدولة المطلوب منها التسليم أن تمتنع عنه:

1 - إذا كان المطلوب من رعاياها حين ارتكاب الجريمة، على أن تتولى هي محاكمته بموجب إضبارة قضائية تنظمها السلطات القضائية في الدولة الطالبة، وعلى الحكومة المطلوب إليها التسليم أن تبلغ نتيجة الحكم إلى الحكومة الطالبة فيقرر المرجع القضائي المختص فيها وقف التعقبات نهائياً أو وقف تنفيذ الحكم إذا كان قد حكم بالدعوى.

2 - إذا كان الجرم واقعاً في أراضي الدولة طالبة التسليم وكان الشخص المطلوب من غير رعايا الدولة الطالبة وكانت الأفعال المسندة إليه غير معاقب عليها في قانون الدولة المطلوب إليها التسليم.

3 - إذا كان الجرم قد ارتكب خارجاً عن أراضي الدولتين وكانت شريعة الدولة المطلوب إليها التسليم لا تعاقب على الجرم إذا ارتكب خارج أراضيها ولم يكن الشخص المطلوب من رعايا الدولة الطالبة.

4 - إذا كانت الجريمة أو العقوبة قد سقطت بمقتضى قوانين الدولة المطلوب إليها التسليم ما لم يكن المطلوب من رعايا الدولة الطالبة.

المادة 4: لا يسمح بالتسليم في الأحوال التالية:

1 - إذا كان للجريمة طابع سياسي.

2 - إذا ارتكب الجرم في أراضي الدولة المطلوب إليها التسليم.

3 - إذا كان المطلوب تسليمه من موظفي السلك السياسي المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية.

4 - إذا كان المطلوب تسليمه من الموظفين المكلفين بمهمة رسمية خارج بلادهم وكان الجرم المطلوب من أجله وقع أثناء ممارسته للمهمة أو بسبب ممارسته لها.

فمن المتاح قانوناً وبحسب متن المادتين السابقتين للحكومة السورية أن ترفض تسليم اللواء مملوك وذلك استناداً للفقرتين الأوّل من المادتين 3و4.

واستناداً لما سبق تعالت الأصوات في لبنان لإعادة النظر في المعاهدات المبرمة بين البلدين، على اعتبار أن هذه المعاهدات والاتفاقيات تنص على إعطاء سوريا كل ما تملكه الدولة اللبنانية من دلائل ومعطيات ووثائق ومعلومات، دون المعاملة بالمثل، وبضرورة تزويد جامعة الدول العربية بالمعلومات عن "تعدي" سوريا على لبنان في حال صدور القرار الظني والاتهام أصولاً، وإرسال شكوى مفصلة لمجلس الأمن عن ذلك، لنشر قوات طوارئ على الحدود اللبنانية السورية لأن هناك بنداً من القرار "1701" الذي أوقف الحرب الإسرائيلية على لبنان عام "2006" يذهب بهذا الاتجاه.

# عارف النكدي 1887 – 1975

■ ياسر مرزوق

مع الرئيس اللواء الأمير فؤاد شهاب في القصر الجمهوري
بصربا قرب بيروت عام 1960

ما ذكر اسمه يوماً إلا وكان مرادفاً للخدمات الاجتماعية وللثقافة العالية وللوطنية المنعتقة من أي تسييس أو تحزب عارف النكدي، المصلح الاجتماعي والخطيب الثائر، ابن جبل لبنان، الذي اختصر في حياته سيرة جيل مخضرم من الموحدين الدروز، جيلٌ جمع في نضاله، وبتناغم تام، بين الخاصية الدرزية والشمولية العربية فأعطى البعدين حقهما في حياته وبأفضل أشكال العطاء الممكنة.

ولد عارف بن أمين بن سعيد النكدي في بيروت عام 1887 والنكدي نسبة إلى آل نكد، وهم العشيرة الدرزية المعروفة التي تنتسب إلى قبيلة تغلب العربية المشهورة، والتي كانت قد خرجت مع جيوش الفتح الإسلامي من جزيرة العرب إلى مصر فالمغرب، ولا يزال إلى اليوم القسم الأكبر منها في الساقية الحمراء في المغرب الأقصى وتعرف بالأنكاد، ثم عاد جماعة منهم إلى مصر في جيش المعز الفاطمي، ثم انتقلت إلى "برجا" في جبل لبنان، ثم إلى "بعقلين"، ثم استقرت في "دير القمر" ثم انتقلت إلى عبيه من قرى قضاء الشوف لينتقل أمين والد عارف إلى بيروت التي ولد عارف بيك فيها.

أتم دراسته الثانوية في بيروت، ثم نال إجازة الحقوق من اللجنة العدلية عام 1922، عيّن بعدها كاتباً في محكمة الاستئناف الحقوقية. ما لبثت أن اعتقلته السلطة الفرنسية بسبب مواقفه الوطنية، وقد تكرر الاعتقال لأربع مرات متتالية فقد لعب دوراً مهماً في الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش ودفع ثمن نضاله مئات الأيام من الأسر أمضاها في ظلمات سجون الانتداب الفرنسي. وبعدها شغل منصب وكيل لرئاسة محكمة الجنايات، لينتقل إلى دمشق مدعيّاً عاماً في محكمة الاستئناف، وفي عام 1923 انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي "مجمع اللغة العربية فيما بعد".

عام 1930 عين "متولياً لأوقاف الدروز" عام 1930، بالإضافة إلى اشتغاله بالقضاء وتدريس علم الاجتماع، والقانون الجزائي في معهد الحقوق بدمشق. فنجح في تحقيق هدفيه العامين مضحياً بحياته الخاصة، وفي عام 1931 أصدرت الكتلة الوطنية جريدة "الأيام"، وكان النكدي مدير التحرير فيها، والتي سميت فيما بعد جريدة "اليوم"وكان هو مدير سياستها أيضاً ومديرها المسؤول "د. نجيب الأرمنازي"، وكانت جريدة يومية سياسية، ولكن هذه الجريدة عطلت أيضاً بعد سنة تقريباً، وتم بيع الامتياز من قبل الكتلة الوطنية إلى السيد " نصوح بابيل"، وبالتزامن مع العمل الصحفي والأكاديمي تنقل النكدي بين المناصب، قاضياً ومحافظاً ومديراً عاماً لوزارة العدل عام 1943، ومديراً عاماً لوزارة الإعاشة والتي كان وزيرها "خالد بيك العظم" الذي أصر على توليه هذا المنصب وذلك عام ١٩٤٤، ثمّ رئيساً لمجلس الشورى في سنة ١٩٤٦، ثم مديراً عاماً للشرطة في ١٩٤٦/٧/٢٧ إلى حين سن التقاعد، ثم محافظاً لجبل الدروز بالوكالة من ١٩٤٧/١٢/١٣ إلى شهر أيلول سنة ١٩٤٩، ثم مديراً للأمن العام السوري في العام نفسه.

لنعود قليلاً إلى إدارة النكدي للأوقاف الدرزية، حتى قبل توليه الأوقاف عمل على تحديث بيت اليتيم وتوسيعه بحيث أصبح يتسع لأكثر من ألفي نزيل ونظم إدارة الأوقاف الدرزية بدءاً بلم شملها وتوحيدها وانتهاءً بضبط موازنتها بحيث اتسعت قاعدتها وازدادت مداخيلها. وفي هذا السياق قد يكون من أبرز انجازاته خلال توليه الأوقاف تحديث أول مدرسة بنيت للدروز في العهد العثماني، المدرسة الداودية، " نسبةً للوالي العثماني داوود باشا " والتي كانت تابعة للأوقاف الداودية فضاعف المساحة المبنية من المدرسة والتي لم تكن تتجاوز، آنذاك، 1300 متراً مربعاً، واستكمل تطويرها فحولها إلى مدرسة ثانوية أطلق عليها اسم "الكلية الداودية" التي احتضنت، إلى جانب اللبنانيين، طلاباً من السعودية وسورية ومصر وفلسطين فخرّجت في الخمسينات، أجيالاً من المثقفين والمتنورين. وقد ظلت الكلية الداودية مثابرة على رسالتها الثقافية في عبيه لغاية العام 1978، عام إغلاق أبوابها في ظل استفحال حرب الجبل، وإضافة إلى "الكلية الداودية" أسس النكدي المدرسة المعنية في بيروت التي ساهمت، بدورها في نشر التعليم الابتدائي والثانوي.

يعد النكدي واحداً من رواد النهضة العربية التي بدأت طلائعها أواخر القرن التاسع عشر وتبلورت في النصف الأول من القرن العشرين. تتمثل نهضوية النكدي في قضيتين مركزيتين هما نظرته إلى العروبة وموقعه من الإصلاح الديني. إذ تخترق النظرة إلى العروبة والدفاع عنها كل كتابات النكدي منذ الشباب حتى آخر أيامه. اعتبر اللغة العربية الرابطة الأقوى التي تشد العرب وتساهم في نهضة الأمة. تمسك باللغة الفصحى ودعا إلى تطويرها، ورفض استبدالها باللغة العامية بعد تصاعد الأصوات في لبنان وبعض الأقطار العربية لاعتمادها أساساً. شدد على العروبة الرحبة والمتسامحة، ونبذ العنصرية والتعصب. أكد على دور المسيحية والمسيحيين في نشر الفكر العروبي وعلى دورهم في التراث والثقافة العربية منذ الإسلام وفي امتداد العصور الإسلامية اللاحقة. رفض الخضوع للاستعمار والانتداب وسفّه منطقه القائم على الدور الحضاري. أكد على كون العروبة إطاراً على العرب التوحد ضمنه لمواجهة هذا الاستعمار. قال مبكراً بأهمية الإصلاح في العالم العربي، واعتبر أن التراث أحد عوامل النهوض شرط قراءته وفق منهجية علمية تؤمن الإفادة منه، وتترك ما تجاوزه التاريخ والأحداث. كما شدد على الدور الروحي والاجتماعي والحضاري للدين، ورأى فيه واسطة الإيمان والعلاقة بين الإنسان وربه. لكن الأهم في آرائه في هذا المجال تتصل بدعوته إلى الفصل بين الدين والدولة، وإلى منع رجال الدين من الاشتغال في السياسة وحصر مهماتهم في الجوانب الدينية وإرشاد الناس وتعليم المبادئ الداعية الى الحب والرحمة والتسامح والمعاملة الحسنة. كما ذهب بعيداً في القول بعدم صلاحية الدين لأن يكون أساساً للرابطة الوطنية أو للهوية القومية. صنّفته آراؤه تلك واحداً من الرواد في مواجهة الأصولية المعاصرة ومؤسساً للفكر العلماني في العالم العربي.

زوّد النكدي المكتبة العربية بعدد كبير من المؤلفات نذكر منها "الموجز في علم الاجتماع، القضاء في الإسلام، معضلة الشرق -ترجمة-، تاريخ الأمير السعيد عبد الله التنوخي، الحياة الاقتصادية - ترجمة -، الحركات اللبنانية الثلاث في لبنان، حياة محمد. بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات المنشورة في مجلة المجمع العلمي".

مع مطلع الخمسينات ابتعد النكدي عن السياسة السورية، وعاد إلى لبنان ورفض الانخراط بين سياسييها وذلك لاستشراء الطائفية بينهم، وتفرغ للعمل العام، لكن شغله الشاغل ومعركته الأكبر، كان دفاعه عن اللغة العربية في مواجهة العامية والأصوات التي كانت تتعالى لاستبدال العربية الفصحى باللهجات المحكية، ونورد هنا هذه القطعة الأدبية الرائعة التي نشرت تحت عنوان: تسهيل تعليم اللغة العربية، في المقتطف في شهر أيار عام ١٩٠. وقد أرسلها من مسقط رأسه في عبيه، وهو ابن الثانية والعشرين من عمره تحت باب المراسلة والمناظرة. لكي تُنشر في بطون المجلة، وهو ما زال على مقاعد الدراسة، يقول النكدي وقد وجه كلامه في هذا الموضوع. إلى صاحبي المقتطف وهما كما ذكرنا العالمان فارس نمر ويعقوب صروف:

حضرة العالمين صاحبي المقتطف الزاهر المحترمين:

اطلعت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة على رسالة للفاضل حسين أفندي لبيب عنوانها: مذهب جديد في تعليم اللغة العربية ترمي إلى تسهيل دراسة اللغة العربية، وغالب هذه الآراء، إن لم نقل كلها، للأجانب،

كالسيد ارثوا شوارتز الألماني والسيد ولمور الانكليزي وغيرهما من علماء الفرنجة، ممن لم تحضرنا أسماؤهم، وجميعها لا يخرج عن القول بكتابة لغة العامة وإهمال اللغة الفصحى. فهؤلاء العلماء إمّا أن يكونوا متطلعين من العربية واقفين على دقائقها وحقائقها وحالتها الحاضرة أولاً، فإن كان الأول، فهم عارفون بلا شك أن لكل عامة قطر لغة مستقلة لا يكاد يفهمها أهل القطر الثاني، فطلبهم هذا يؤول إلى إضعاف اللغة بتجزئتها إلى لغات متعددة لا تلبث أن تهلك جميعها، وإن كان الثاني فخير لهم أن ينصرفوا عن إصلاح لغة لا يفهمونها ولا يقدرونها قدرها إلى تسهيل ما في لغاتهم من الشواذ وتذليل ما فيها من الصعاب. هذا ما كان يجعل الكثيرين من الغيورين على لغتهم العربية أن يضربوا صفحاً عن هذه الآراء التي لا طائل تحتها وأن لا يعيروها جانب الالتفات.

فاستعمال لغة العامة أمر يجب صرف النظر عنه والبحث في إيجاد طريقة أخرى تسهل لغتنا الفصحى علينا. ولقد أصاب حسين أفندي لبيب في ما كتبه كل الإصابة وأظن رأيه رأياً لا يختلف فيه اثنان من محبي اللغة العربية - فلو كلف المعلمون تلامذتهم كلهم التكلم باللغة الفصيحة، لتوحدت اللغة وأصبحت نقية الذيل بيضاء الصحيفة من حوشي الألفاظ ومبتذلها. لا ينكر أن البعض يتحاشون بادئ ذي بدء التكلم باللغة الفصحى خوفاً من أن تفوّق نحوهم سهام التكلم والانتقاد ولكن على المرء إذا أراد الإخلاص في الخدمة أن لا يلتفت إلى ما عساه أن يقال عنه ما زال يرى نفسه ضمن دائرة الواجب، هذا فضلاً عن أنه باستعماله اللغة الفصحى يخلص من ركاكة ألفاظ اللغة المبتذلة إلى جزالة في القول لا تجتمع في هذه الأخيرة. وما هو إلا القليل من الزمن حتى تعتاد آذاننا على اللغة الفصحى ويصبح العدول عنها عجزاً وخطأ.

وهنا، أكرّر ما قاله حضرة الفاضل من وجوب الابتداء بحفظ القرآن وإذا تعذّر على غير المسلمين من الطلبة حفظه فعليهم بالكتب الصحيحة العبارة لترسيخ ملكة حسن التعبير في أذهانهم. بقي مسألة تعلم النحو. ولا أراني خارجاً عن الموضوع وما زلنا في ميدان البحث عن تقريب منال العربية إذا ذكرت رأياً لي فيها. ليس أكثر من كتب النحو عندنا فهي مما يخطئه العدُّ ولمّا يقف المؤلفون عند هذا الحدّ فالماثل للطبع والمهيأ للتبييض لا يقل عما بين أيدينا وهي بجملتها تقسم إلى قسمين: القديمة والحديثة أو المطولات والمختصرات وكلاهما لا يقوم بحاجتنا.

فالأول يتيه الطالب ما بين كثرة مذاهبه وتباين آرائه وتشعب طرقه وتعدّد لغاته. ممّا يذهب بعقله كل مذهب ويقعد به عن طلب هذا الفن.

وأما القسم الثاني فأكثر المتداول منه بين أيدينا سقيم العبارة ركيكها وعلى الأخص أمثاله وتمارينه وما يتبع ذلك مما كان يجب أن يكون أبلغ وأفصح وهو مع اختصاره لا يخلو من بعض المذاهب والشوائب ولا ينفي صحة تلك اللغات والآراء الفاسدة بل هو كما يدل عليه اسمه مختصر لتلك أو سلم يرقى عليها إلى تلك المطولات. فحاجتنا إذاً إلى مؤلف في النحو يكون لنا مرجعاً

مع الرئيس شكري القوتلي اولأديب العربي الكبير طه حسين في نادي الشرق دمشق عام 1946
الصورة من موقع التاريخ السوري

غير الكتب القديمة ومن رأينا أن لا يؤلف كتاب جديد بل يعمد فريق ممن يوثق بعربيتهم إلى كتاب قديم مشهور فينفوا منه ما لا حاجة لنا به، ويلحقوا كل فصل من فصوله بتمارين تؤخذ من بليغ أقوال العرب مما شرف معناه وجزل لفظه فيصبح الكتاب جديداً أو يكون عليه المعوّل، وبذلك يتوفر حظ صالح من الوقت ويعتاض المدرس أو المؤلف عن أعمال الروية وإعنات الفكرة لإيجاد عذر لشاعر يقول عوضاً عن الذين اللذوْن وبدلاً من منّي وعنّي بالتشديد مني وعني بالتخفيف إلى آخر ما هناك بقوله هذا خطأ - ولقد رأيت أن أحصر هذه الأغلاط في أسباب ثلاثة الأول: غلط الشاعر وهو استعماله ما لم يكن يستعمله أهل زمانه إلا إذا وقعوا في ما وقع فيه لقافية أو وزن كقول الأول:

عرفنا جعفراً وبني أبيه / وأنكرنا زعانف آخرين

بنون مكسورة

وقول الثاني:

بابه أفندي عدي في الكرم / ومن يشابه أبه فما ظلم

فقد خالف الأول إخوانه العرب وأتى بنون جمع المذكر مكسورة مع أنهم لم يكونوا ينطقون بها إلا مفتوحة، كما هو ظاهر في دواوينهم. فمخالفته هذه خطأ لا لغة. وما قلته عن كسر هذه النون قلهُ عن حذف الياء من بابه والألف من ابه في البيت الثاني. مما أدّى الى استنباط لغة سموها النقص، مع أن الشروط الأربعة للإعراب بالحروف موجودة في هاتين اللفظتين. وعلى هذين البيتين قس البقية.

الثاني: اصطناع بعض النحاة أبياتاً نسبوها إلى العرب إثباتاً لرأي يعرض لهم كما في قولهم:

أعرف منها الجيد والعينانا / ومنخرين أشبها ظبيانا

الثالث: أخذ النحاة أقوال الشعراء كما وصلت إليهم دون التثبت من صحة ما يقرؤونه أو يسمعونه. وقد يكون الناقل غلط في روايته فيحسبون غلطته صادرة عن الشاعر فيركبون لأجلها متن التعسف ليوجدوا لتلك الأغلاط لغات ومذاهب. من ذلك ما ورد في كتاب سيبويه.

معاوي إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

هكذا رواه سيبويه على النصب وخلق له مذهباً في الإعراب وهو إعراب الشيء على المعنى فتكون الحديدا على رأي سيبويه، إمام النحو، منصوبة على معنى الخبر في ليس، وهو لو كلّف نفسه بعض البحث لاستغنى عن الاحتيال بهذه الحيلة الضعيفة، ولرأى أن البيت من قصيدة كلها مخفوضة وهي:

معاوي إننا بشر فأسجح / فلسنا بالجبال ولا الحديدِ / أكلتم أرضنا فجردتموها / فهل من قائم أو من حصيدِ / أنطمع في الخلود إذا هلكنا / وليس لنا ولا لك من خلود / فهبنا أمة هلكت ضياعاً / يزيد أميرها وأبو يزيدِ

وليس هذا بالبيت الفذ من استشهادات سيبويه، فمن تبحر في كتابه يرى كثيراً من تلك الأشعار التي أوصلها إليه النقلة أو الكتبة مغلوطة فاستنبط لها مذاهب وبنى عليها لغات من غير أن يتبصر فيها أو يرجع بها إلى أصل وإذا كان سيبويه مع طول باعه وواسع اطلاعه وقع مراراً في مثل هذا فما بالك فيمن هم أوطأ منه كعباً وأقل منه خبرة وأضيق في العلم منه صدراً.

هذه كلمة دفعنا إليها حبنا للغتنا وحرصنا عليها والله سبحانه من وراء العلم".

توفي عارف بيك النكدي بصمت في مسقط رأسه عبية، عام 1975 وقد تم تأبينه على يد جمع غفير من رجالات سوريا ولبنان وزعماء الطوائف.

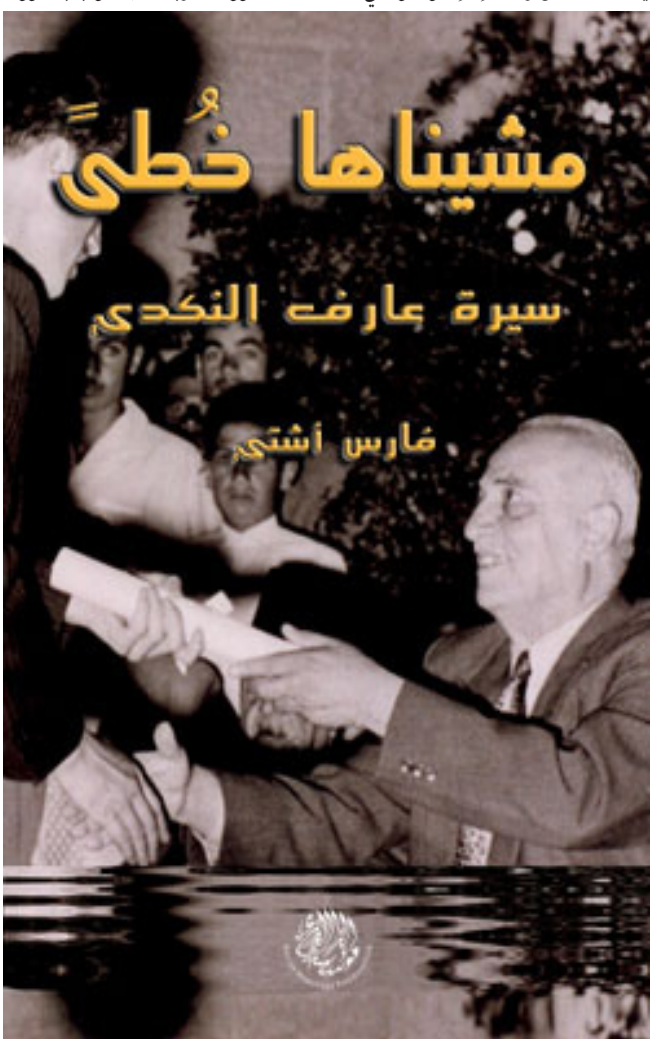

# ثمة أمل دائم بداخلنا وهو أنه غداً سيكون أجمل

## حوار مع إحدى الناشطات في درعا

■ عروة المقداد

هذا الحوار الثالث من سلسلة الحوارات التي نفردها لمحاولة الوقوف على التغيرات التي أحدثتها الثورة في أنفسنا. وكنت قد أشرت في بداية الحوار السابق أن الثورة هي ذروة التحولات والتغيرات التي تَحدث في ذات الإنسان، وأنه لا يُتاح في أزمنة الثورة الوقوف على تلك التغيرات، حيث تولد كمية هائلة من الأسئلة ينبغي الإجابة عليها لنفهم. وها نحن نحاول أن نطرح الأسئلة كي نفهم ماذا حدث؟ وماذا يحدث؟ ولماذا حدث؟ وكيف نستطيع أن نتصالح مع كل تلك المتغيرات التي كان القسوة والألم جزء منها.

التقينا إحدى الطبيبات التي تعمل في إحدى المشافي الميدانية والناشطات في مدينة درعا. كانت درعا تقصف، ورائحة الدم تفوح من كل سورية. وفي الشاشة المستطيلة وعلى نشرات الأخبار لا يظهر السوري سوى مجرد خبر، لا يغير من تعابير مذيع الأخبار. لا تخبرنا تلك الصور عما يختلج في صدور أناسها. ولقد كان الحوار التالي.

**| ثمة قصف عنيف الآن على درعا، أصوات القذائف في كل مكان!**

| | نعم في كل مكان، وفي جميع أنحاء المدينة والمحافظة.

أسمع أغنية هل تسمعها معي؟

**| ما هي الأغنية؟**

وصفولي الصبر، أم كلثوم.

أحب أم كلثوم كثيراً.

**| هل يجوز أن نسمع أغان في الوقت الذي يسقط فيه الشهداء وتقصف المدن؟**

| | هل يوجد غناء في الأوقات الحالكة نعم يوجد غناء عن الأوقات الحالكة

مقطع من قصيدة برتولد بريخت شاعري الأزلي.

**| منذ متى لم تسمعي أغنية؟**

| | ينبغي أن أسمع أم كلثوم كل يوم. وتحديداً أغنية الحلم: بقى قلي ونا قله وخلصنا الكلام كله.

**| وعندما تنقطع الكهرباء؟**

| | أغنيها بالحلم، أو أعيش الحلم بالأغنية. أنا امرأة تحلم دوماً.

**| أيهما أعلى، صوت الإنفجارات أم صوت الأغاني؟**

| | صوت الإنفجارات أعلى من كل شيء، أعلى من صوت الحقيقة، إنه الآن الحقيقة الوحيدة وما تبقى إشاعات.. أو إعلام.. لا أعرف.

**| الثورة حقيقة؟**

| | أخاف أن تكون أحياناً حلم.

**| كيف تميزين أنها ليست حلم، وأنها واقع؟**

| | الثورة بالنسبة لي الآن حلم، وحلم جميل. لا أستطيع رؤية عيوبها. أحبّها وأحبّ كل من يحبّها، وأكره كل من يتفوه عنها بكلمة. تراني دوماً غاضبة، هذه ثورتي. أخشى عندما تكتمل أن أصدم بحقيقتها، فلندعها حلم جميل في مخيلتي فكما قلت لك أعشق الأحلام.

**| نحن نعشق الأحلام، شعوب حالمة. في كثير من الأحيان لا نميز بين الحلم والواقع. كنا نقول أن النظام غبي، ولكن كم الواضح أنه أذكى منا بكثير!**

| | النظام ذكي؟

لقد رتب أوراقه جيداً لهذه اللحظة!

المشكلة فينا نحن. نحن لم نرتب أوراقنا. بل كانت مبعثرة، وربما لم يكن لدينا الأوراق الكافية.

**| لماذا؟**

| | من الممكن أن الثورة باغتتنا.

**| ما الذي تغير فيك؟**

| | اكتشفت زوايا بشخصيتي. في هذه الثورة اكتشفت أني لا أعرف الخوف. ربما أخاف لكنني لم أتخيل نفسي أسير بسيارتي تحت الرصاص. لم أتخيل أن أدخل إلى المشفى الميداني وأرى الجرحى والشهداء، وأن أمرّ يومياً للاطمئنان عليهم وأرى احتياجاتهم وأن أعبر الحواجز غير آبهة بها، ومهما كان معي أو مهما كان من معي.

**| درعا محاصرة وجزء كبير من المدينة وقرى المحافظة قد دمرت. كيف تحولت علاقتك بالمكان والذكريات؟ هل تشعرين أن جزء من ذاكرتك دُمر؟**

| | تصدق، منزلي القديم على طريق السد أمر به يومياً. أتوقف لحظات وأقول لنفسي لن أسمح للكلاب بأن يسرقوا ذكرياتي بمحو مكانها، أوثقها دوماً بذاكرتي.

بكل الأحوال ذاكرتي ترتبط بالأشخاص أكثر من المكان، لذلك جل ما يزعجني أن أبحث عن الذين أحببتهم ولا أجدهم.

**| أنت طبيبة، تعالجي الجرحى، ماذا**

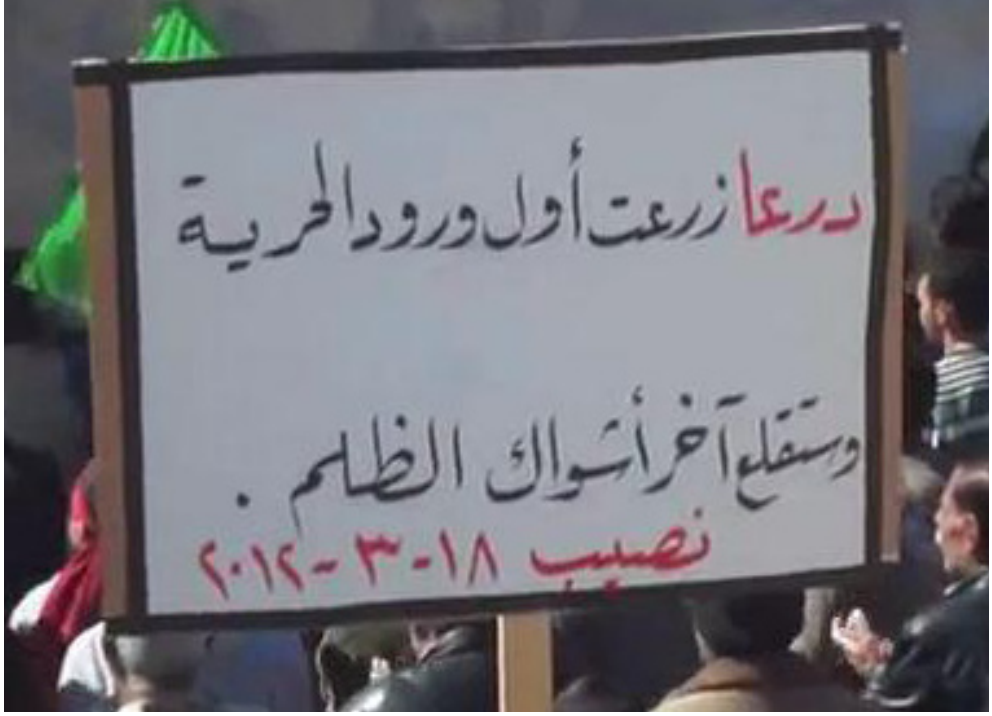


**يختلف المصاب بالثورة عن المريض العادي؟**

| | أنا أحب جميع مرضاي بالمجمل، لكن المصابين بالثورة لهم مكان خاص في قلبي. أحس نفسي مسؤولة عنهم، أحس أنهم خرجوا عوضا عني. أفكر معهم بكل همومهم، ليس فقط بجرحهم، بوضعهم المعيشي، أحاول دوما أن أبحث لهم عن المساعدة المادية، حتى النفسية، أواسيهم أصادقهم، وفجأة أجد نفسي صديقتهم العزيزة. يزورونني بعد الشفاء وتكفيني نظرة الرضا من عيونهم.

**| هل الناس حقاً بذلك الجمال الذي يتحدث عنه الثوار دائماً والذي تتحدثين عنه، ثمة الكثير من الأشياء البشعة في الثورة، هل توافقين على ذلك أولاً؟**

| | هناك أشياء بشعة في كل ما حولنا، وليس فقط الثورة. الثوار ناس رائعون إن دخلت بداخلهم سترى عالماً رائعاً بسيطاً. أناس معظمهم كان مهمشاً وأحس الآن في هذه الثورة أنه إنسان ذا قيمة، وانه يحمل هدفاً وأنه عازم على تحقيقه مهما حصل.

**| ما هو أقسى شيء بالثورة؟**

| | فقدان الأحبة! بالموت والاعتقال أو الهروب

**| درعا مدينة محافظة نسبياً، هل تغير شيء في تعامل الناس معك بعد الثورة؟**

| | قبل الثورة كان كثيرين من الناس المحافظين يمتنعون عن توجيه السلام لي، وبعدها صاروا يسلمون علي ويقفون معي مطولا يطمئنون علي. أحد الأطباء كان يغض النظر كلما مررت بجانبه، بعد الثورة صدفته مرة بمشفى ميداني وكنا نعالج مريض ومن يومها صار يبتسم لي ويسلم علي. اكتشف الجميع معدن الإنسان من الداخل. عندما تكتشفك الإنسان من الداخل سيكون حكمك عليه صائباً.

**| هنالك تخوف دائماً من الإسلاميين، هل تخافين منهم؟**

| | لا أخاف أبداً، مجتمعنا متدين ولكنه ليس منغلق. وثمة إسلام معتدل لدينا. والشعب الذي سوف يسقط أعتى نظام بالتاريخ لا تخاف عليه من أي مد.

**| هل فقدت شيء من أنوثتك بالثورة؟**

| | بالعكس أحسست بها، أحسست بقيمتي كأنثى. ذات مرة كنت ذاهبة إلى مخيم درعا. وركض ولد وصرخ: نور المخيم واللّه. أحسست نفسي ملكة.

**| لماذا؟**

| | أحببت كوني امرأة ثائرة، وأحببت كوني أعمل بالثورة مع شباب كانوا بالماضي "زعران" وتعاملوا معي كصديقة.

**| كيف كانوا في الماضي زعران، ما الذي غيرهم؟**

| | صار لهم هم واحد ونسوا "الزعرنه". السؤال لماذا كانوا زعراناً؟ هنالك أسباب يتحملها المجتمع. وهم أناس جميلين من الداخل، ولكن الظروف شوهتهم، والثورة أخرجت الجزء الجميل منهم.

**| انتشر السلاح بكل سوريا، وذات مرة قلت لي أن الثورة بحاجة لبندقية مثقفة، ماذا تعني بالبندقية المثقفة؟**

| | أن يتحكم المنطق بالبندقية، وبالمختصر أن نتحكم "نحن" من ندعو أنفسنا بالمثقفين بهذا السلاح، ولكن أظن أنه فات الأوان على ذلك.

**| لماذا فات الأوان؟**

| | فات الأوان لأن اللعبة كبرت، وانتشر السلاح بشكل غير منظم وكثر الزعماء وبالنهاية "ضاعت الطاسة"

**| أين المثقفين اليوم من الثورة؟**

| | اتضح أنهم يحبون التنظير فقط. اجتمعت من فترة مع 3 أشخاص يعملون بمجال الإغاثة الطبية، ودب خلاف فظيع بينهم ولأسباب تافهة، ولكن السبب الرئيسي بنظري هو الجهل. فكرت فيما حدث وقلت في نفسي: نظرت لو أنني مع أصدقائي الأطباء تولينا هذا الملف من المؤكد أن الأمر كان أفضل.

**| هل تعني أن غياب المثقفين والمتعلمين هو السبب في أخطاء الثورة؟**

| | يتحمل المثقفون العبء الأكبر. ماذا تتوقع من ثورة يقودها جهلة ومهربين، وعفواً سوابق زمان، مع إجلالي لهم جميعا بما يقدمونه الآن.

**| ألم تقولي أن الثورة غيرتهم، وأنهم أناس جميلون؟**

| | بالتأكيد غيرت فيهم الكثير كما قلت. لم يعودوا حرامية أو "زعران" ولكن العقول من الداخل هي نفسها لم تتغير. مازال الجهل غالباً على الناس. ولا يوجد أفق نضالي لديهم. والثورات هي فكر وليس سلاح لوحده.

**| أليس هذا الكلام تعالٍ على الناس الذين أظهروا وعياً استثنائياً في بداية الثورة؟**

| | ليس تعال، أنا أحبهم كثيراً. ولكن من الضروري أن يكون هنالك قيادة مثقفة تربط بينهم وتنسق نضالهم.

**| هل فات الأوان لتصحيح أخطاء الثورة، مضى الوقت ليكون المثقفين بجانب الناس وينسقوا نضالهم؟**

| | بالنسبة لي أعتقد أنه فات الأوان، ربما يستطيع المثقفون لعب دور أفضل في مرحلة ما بعد السقوط.

**| هل لديك أولاد؟**

| | نعم، ولد وبنت.

**| هل من الممكن أن تحدثيني عنهم وسط هذا القصف، كيف تحولت طفولتهم؟**

| | ابني يكتب قصص قصيرة ومقالات رائعة عن الثورة، ولكنه طفل يخاف الرصاص. يركض خائفاً عندما يسمع أصوات الرصاص، ويختبئ بالحمام وأحياناً يدب الحماس فيه ويردد هتافات للثورة ولكن بخوف. سألته ذات مرة لماذا تكره بشار؟ قال لي: لأنه ما في بسوريا ملاهي وشوارع حلوة ومدارس متل العالم والناس، فقلت له: طيب إذا حقق لك كل هذه الأشياء هل تحبه؟ أجابني: لا إنه يقتل الأطفال. أما زينة بالمجمل تكره كل ما يحدث لأنه لم يعد هنالك مشوار. وهي متأثرة فيّ. طول الوقت أسمعها تردد أرائي أمام الناس.

**| إن طفولتهم تسرق؟**

| | بالتأكيد، لقد كبروا عشرات السنوات. أعتقد أنهم لن ينسوا، لن ينسوا مناظر الموت والقتل، ولا صوت القذائف، ولا دعواتنا اليومية على القتلة.

**| وأنت كيف تحمين نفسك من كل هذا الألم والقسوة؟**

| | أنا أعتبر نفسي محمية من الألم، لسبب وحيد أنني ما أزال إنسانة، إنسانيتي تحميني

**| كيف تستطيعين لمس إنسانيتك والتأكد أنها ما زالت موجودة؟**

| | أتقبل كل شيء الألم الموت والهزيمة بنفس الوقت. ثمة أمل دائم بداخلي وهو أنه غداً سيكون أجمل، وهذا يقيني الدائم. وما يؤكد إنسانيتي أني ما زلت أحمل في قلبي التسامح. إنني قادرة على المسامحة رغم كل ما يحدث.

**| من أين يأتي الأمل لديك؟ المشهد قاتم ودموي، وجيل يشهد القتل والعنف والحقد، ثمة كما قلت جهل كبير، أين الأمل في ذلك؟**

| | الأمل مني ومنك، ومن الناس الذين لديهم رغبة في بناء وطن، بناء إنسان. بعد أن ننتهي من كل هذا الرعب وكل هذا الدم سنفسح مجالا للتسامح وللحب.

**| هذا كلام عام، رومانسي والرومانسية لا تصنع وطن؟**

| | الرومانسية والحب يصنعون أحلى وطن، لماذا لا يوجد لديك ثقة بشعبنا؟ شعبنا جميل ولكن نريد فرصة لنكتشف بعضا ولنعود نحب بعضنا البعض.

**| أنت قلتي أنه ثمة جهل وتخلف وأن السلاح منتشر في كل سورية، ومن الصعب السيطرة عليه، وثمة قتل دموي وممنهج، وبعد كل هذا كيف سنفسح مجال للحب والتسامح؟**

| | لدينا كابوس الآن اسمه "النظام الهمجي". عندما نتخلص منه يجب أن نبدأ بآلية عمل جديدة، وهنا يبدأ عمل المثقفين الحقيقي.

**| البيوت تنقصف، وثمة خراب كبير، وثمة شرخ في الذاكرة. الأصدقاء والأخوة والأهل جزء كبير منهن رحل. موت يطغى على كل شيء. ولكن بالرغم من كل ذلك ثمة إيقاع للحياة عم يطغى في صمود الناس. كيف ترين هذين التناقضين؟**

| | اليوم المظاهرة تحت منزلنا كانت عبارة عن دبكة وأهازيج رائعة، حتى تشييع الشهداء هو عرس بأغاني رائعة. باختصار نحنا شعب يحب الحياة، نحن شعب نرفض الموت. الناس تقصف في درعا البلد والناس تتمشى في درعا القصور، الناس تريد أن تعيش رغم أنوفهم. نمارس أعمالنا بشكل طبيعي، نزور بعضنا البعض، وما زلنا نضحك ونتواعد ونحب ونسمع أصوات الرصاص والقذائف ونستمر. الموت أصبح جزء من حياتنا اليومية وتعلمنا أن نتجاوزه إلى الحياة.

**| الحياة أبقى من النظام؟**

| | عندك شك؟

**| أنت من يؤكد لي، أنت تحت القصف وأنت الصامدة؟**

| | أنا تحت القصف لكنني أنظم جدول أعمالي كل يوم. يعني أريد أن أعيش لغداً وما زلت قادرة على الحلم. قدرتك على الحلم تعني كم أنت متمسك بالحياة.

# هكـــذا نتخلـــف..

■ لمى محمد

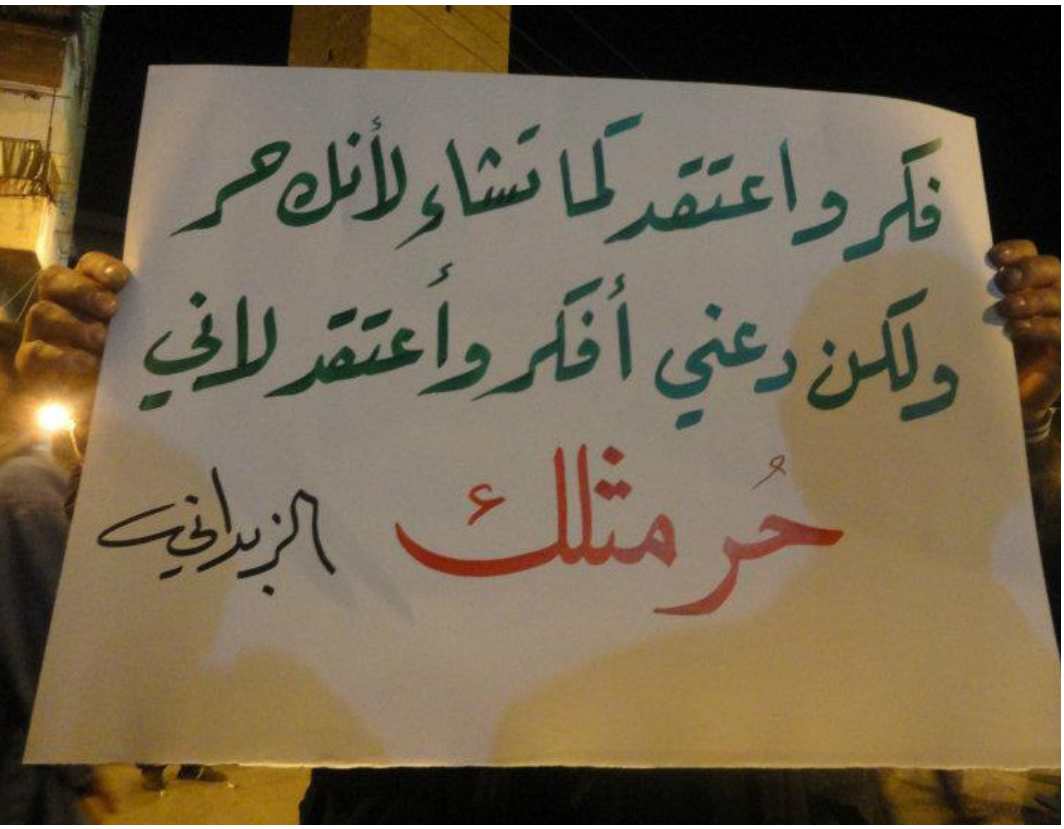


لا فـرق بين من يسـجن (الفكرة) في أقبيـة التعذيـب لأنهـا (معديـة) متحدية.. وبين من يسجنها تحت (نقاب) الحرام لأنها (أنثى) عورة...

و عليه يتشـابه الجلادون جميعهم في زمن (المنفى).. فلم تتقاتلون أيها البسطاء!

## هكذا نحلم !

نحن نبكي: نعم..

البكاء يغسل الهم ولا يلغيه: نعم..

البكاء قد يعبر عن عجز: نعم..

لكننـا بهـذه الدمـوع نغسـل النافذة الأمامية ل (سيارة) الروح حتى ترى الطريق أوضح.. وتستمر في مسابقة (الحزن) حتى تصل حلمها..

## هكذا نخسر بعضنا !

مازلت تتقن الصراخ والعويل.. تنادي بأنصاف الحقائق وعندما قلت لك:

-بعد أن دخل السلاح.. وتحزب السذج ليكملوا القتال حـول (أكاذيب) عمرها أكثر مـن ألف عـام، فحتى لو سـقطت الأنظمة ستكون في حاجة إلى ثورة!

زعلت.. وقلت: كلام علمانيين!

- أيهـا الفقيـر، يـا صاحـب الحق في الغضب والصراخ.. في الصراخ والغضب أنّا أصلي وأصـوم، وفي جيبتي زكاة لخمسـة مساكين.. لكنني لن أقبل بذلك الختان..

ختان العقل والشخصية وقصر النظر الذي يمارسه (المطهر) العتيد في عمامتك المتسـلطة.. أعلم أنك تحـس أنّك جريح، لكنك في واقع التشـريح خارج عمق الجرح طالما أنت تتحدث من خارج بلد يحترق..

حاول أن تكون على قد كلمة (الحرية) التـي تهتفهـا، أنـت اليـوم قـزم أمامهـا.. والأقـزام لا يقطعـون تذاكـر الطائـرات المسافرة إلى وطن في المخيلة..

تذكـر.. أنك عملت (ثـورة) حتى تطير مـن قفص صغير إلـى الحريـة.. وتحتاج " ثـورة " أكبـر لتقنع نفسـك والكثيرين بأن القفـص الـذي يقبع فـوق الرقبة يسـجن الأوطان.. ويحرق الحرية.

نحتـاج ثورة كالأم.. ثورة لتلم، وتخبر الأخـوة الأعـداء أنهـا مصابـة بسـرطان الكراهيـة، علهم يتحابون، ويرافقونها في رحلة طويلة للعلاج.

تنهـدت تلـك الطفلـة فـي داخلـك.. وقالت:

-جيد كلام العلمانيين.. خاصة إن كان من مؤمنين بالله وبالحياة وبالإنسان.

بينما أنت أدرت ظهرك مع همس: هه (حريم)!

هكـذا (خرسـت) الطفلة فـي داخلك، وهكذا فقدتها...

## هكذا نناضل !

تذكروا /قبل أن ترموا أحقادكم لتنمو أفاع تأكل الأحفاد/.. أنكم قد تموتون غداً.

لنتذكرالحرب الأهلية الروسية:

(تعتبـر الفصـل الأخيـر مـن الثـورة الروسـية، تميـزت بالشراسـة والوحشـية الشـديدة خصوصا ضد المدنيين مما ذهب بحياة ما يقرب من ثلاثة عشر مليون نسمة وتهجيـر ما يقرب من مليون نسـمة هجرة شبه دائمة.).

ما تذكرته هو الدعاية في تلك الحرب والتـي تميـزت بالاعتمـاد علـى الخلفيـات (الدينيّة) لكسـب البسطاء.. ومارس الجميع هذه الخطة بمن فيهم (الشيوعيين).

ما وصلنا مـن الحرب الأهلية الروسـية ومـا بقي فـي الذاكرة الجمعية لعالم بأسـره هو كتاب " كيف سـقينا الفولاذ" ل: "نيقولاي استروفسـكي" بالقدم التي شـلت واليد التي توقفـت عـن الحركـة، والعيـن التـي فقدت البصر كتب بروحه: "الحياة اعز شيء للإنسان إنهـا توهب له مرة واحدة، فيجب أن يعيشـها عيشة لا يشعر معها بندم معذب على السنين التي عاشـها ولا يلسعه العار على ماض رذل تافه، وليسـتطع أن يقول وهو يحتضر: كانت كل حياتي، كل قواي موهوبة لأروع شيء في العالم: النضال في سبيل تحرير الإنسانية".

## هكذا نتخلف !

الكل يصبح بين ليلة وضحاها سياسي لا يشق له غبار:

الأديـب.. الشـاعر.. الرسـام.. الخبـاز.. النجـار.. التاجر.. ومن لا يفك الحرف.. ومن تخـرج مـن الثانوية بمجموع يسـمح له أن يصبح ناطقا باسم " الله"...

الـكل يصبـح سياسـيا فـي زمـن (الصرامي)..

الـكل يكـذب لأن السياسـة ملحهـا الكـذب، وكل علـى (مزبلته) صيـاح.. يجيد فن (النواح).. وفوق هذا كل (وضيع) انقلب مـع قطيع طائفي ورجـم (بوعيه) الفذ كل من خالفه يحمل مورثات طائفة أخرى.

يـا (لعاركـم) يـا (متثاقفـي) الأوطان المحترقة.

## هكذا نتخلف !

ينتشر اليوم على الشيخ (يوي تيوب)- اسمه قادم من التوبة-:

(فيديو) لعسـكري سـوري (مسيحي) يعلن إسـلامه وهو مصفر الوجـه متلعثم الكلمات في قبضة مسـلحين يريدون دولة (إسلامية).. هذه حرية (دينية)!

و يحـق لك أن تضع (شمسـية) عقلية لتحميـك مـن مطـر (بركانـي) لمتثاقفين يتجاهلون هذه الكارثة حيث أنهم -يريدون حصة في (كعكة) المستقبل السياسي -.

ينتشر أيضاً فيديو للمذيعة (السافرة) تضع (الحجاب) أيضا باسم الحرية (الدينية) بعد أن أنقذها من الموت من يريدون تحرير (البقعـة الأرضية الكافـرة).. هكذا هي لم تعد نكرة شريرة في سوق (الفتاوى).. أيضاً يحـق لك أن (تقرف) من (مسـايرة) مقرفة لأصحـاب القلـم الأبطـال مبدعـي الصنم الديني الجديد بعد كسر الصنم السياسي.

ينتشر على النبي (في سبوك) - اسمه قادم من تبادل السباب-:

أخبار عن اعتقال كتاب سوريين بتهمة التحريض علـى أمن الوطن.. وأي أمن هذا الذي يهتز من قلم كاتب؟!

ينتشـر خبر منع ذاك من دخول البلد، ومنع تلك من الخروج من البلد.. وأيضا يحق لك وضع (الشمسية) ذاتها لتمنع نفسك من القرف من تبريرات (المتثاقفين) على جانب الحقيقة الآخر.

## الخلاصة:

أيا كنت ممنوع عليك النقد، أنت متهم ولن تثبـت البراءة مهما صـدح صوتك بأن القـادم مخيـف ومرعب.. (حقـك) رصاصة ومن أي مكان تريدها تصلك(ديلفري).

## هكذا نؤمن !

سـألني الموت: ماذا تفعلون بي في " الوطن" اليوم؟!

أجـاب (جـرح) الـروح: نبنـي أصنامـا جديدة.

## هكذا سنستمر !

صديقتـي الأمريكيـة (المسـيحية)، وبعـد أن أرتنـي سـيارتها الجديـدة، قالت: اقرأي سورة (الفلق) من أجل الحسد...

دهشـت، وسـألتها: -من أين تعرفين سورة الفلق؟!

- كان عنـدي صديقـة سـورية أيضا منذ عشر سـنوات علمتها لي، لو عرفتها يا " لمى" كانت من أنقى وأطيب الناس الذين تعرفـت عليهم فـي حياتـي، ووقفت معي فـي كل محنـي.. هـي عنـد " الله" اليوم.. بالمناسبة هي دينها كدينك أليس كذلك؟!

هززت رأسي: - دينها كديني، ودينك.. ودين جميع الطيبين في هذا العالم، (الحب) وحـده بسـطوته وجبروته هو مـن جعلك ترددين ما قالته لك.

يتبع...

عن الحوار المتمدن

# أخبار شامية

■ علي ظاهر النعيمي

سَجِلْ يا تَاريخُ... قَدْ سَقَطَ طَاغيةْ
وفَرَ آخَرون... والبَقيةُ آتيةْ
سَجِلْ يا تَاريخُ،
بِدمَاءِ مَنْ نَزَفوا
بِحذفِ مَنْ حَذفوا
وَجهَ أُمتي بِصفَقاتٍ خاويةْ
هكذا تَنصَهرُ القُضبانُ بِلهثِ العَزيمَةْ،
هَكذا تَنتصرُ الشعوبُ بالضَربةِ القاضيَةْ
هكذا شأنُنا أن نَكونَ حَقيقَةً
هَكذا الشَامُ دائماً بأخبارِها الشَامية

* * *

فيا سيدي أرحَلْ... وأبتعدْ عَنّا
مَا همَنا
إن كنْتَ مَلاكاً أو كُنتَ شَيطانْ
فَاضَ بِنا الكَيلُ... فَلنْ نُصغي
أصابنا الصَمَمُ، فما حَاجةُ الآذانْ !
كُشِفَ الحِجابُ بَيننا وصَارَ جَهراً
فلا خَوفٌ بَعدَ اليَومَ.. ولا كِتمانْ
مَلَلنَا أُسطورةَ الأسَدِ العَظيم
كشَفْنا زَيفَ عَرينكَ،
وسَتبقَى دائماً ذاكَ الجَبانْ

* * *

لا عَسكرُ يجَرئُ وَطئَ قُلوبِنا
أنهابُ عَسكرَكَ وأنتَ السَيدُ الجَبانْ ؟
فَبئسَ وعُودَكَ... لنْ تُطيلَ وَقفَةً
أَطلَلتَ " كفايةً " بوعودٍ مِنْ دُخانْ.
بأي عُذرٍ.... بأي حُجةٍ
استبَحْتَ قَتلَنا ونَحنُ أبناءُ الشَامِ
لا خَنزيرا اليهودِ ولا كِلابِ إيرانْ
فاليومَ نَردُ ما اصطَنَعَتْ يَديكَ
أكانَ في يَديكَ غَيرَ الجُرمَ و الأكفانْ
نَحنُ أبناءُ أُميَةَ وسَادةُ العَربِ
لا جيلِ المَهزلةِ ولا جيلِ الخَذلانْ

* * *

بالدَمِ كُنْتَ تَقودُ أيَامَنا وبالقَدمِ
ظننتَنا نَسلَ دَوابٍ لا نَسلَ إنسَانْ
فحمْقُ أن تَرَى الظُلمَ قَبضةً لأمورِكَ
فلا سِلمٌ لَكَ سَاعةَ قَبضٍ أو سَاعةَ فَلتان
يا سَادةَ الأرضِ عُدنَا مِنْ بَعدِ غَيبةٍ
بِجيلِ العَظائمِ و بِثابتِ الأركانْ
يا سَادةَ الكِبرياءِ إني أنا الدَمَشقيُ
ذاكَ الذي إعتَلَى التَاريخَ دائِماً عِنوانْ
لا دِينٌ مَرجعُ ثَورَتي ولا عمالةً
أكَانَ الفقرُ مُلتَحياً أو راهباً للعانْ.

* * *

فإذ بِمُسلمٍ يُرتجَى صَليباً نَصراً
وإذ براهبٍ يَصيحُ.. إليًا بالقرآنْ.
أفزعتنا بِلصوصٍ تَناهَشَتْ أجسَادَنا
بِمَنطقِ الذئبِ إذ ظَنَنتَنا الخِرفانْ
كُنا بِلاداً لا عَطشَ فيها ولا ذلْ
كُنَا مَصبَ الأممِ فَجعَلتنا بُهتانْ
أقسَمْتَ أن تَصونَ عَهدَكَ زائفاً
فَلِما عَلَى اللصوصِ سَنودُ الرِهانْ
لا هيبةَ الملوكِ لكَ إن استحلفتهم
أيفي اللصُ لصاً عند الحلفانْ

* * *

دمشقُ أنتِي المجدُ والسيفُ والمرجانْ
ومَراكبُ عِزٍ قادِمةٌ والرَكبُ رَيحانْ
دمشقُ يا قصيدتي و يا أرضَ جُرحي
النصرُ آتٍ إليكِ كَمَا يأتي نَيسانْ
وأنا الفَتَى الدمشقي فَايضني بالدُسنَى
أوتِيكُم جودَ الخِصالِ والدُسنُ مُصانْ
وأنا فَتاةٌ مِنَ الشَامِ ما ضَاهيتني دُسنَا
كَما دِمَشقُ قيثارةُ الشَرقِ والألحانْ
فهيهاتَ بَينَ الدُسنِ ودُسنَكَ يا دِمشقُ
فإن تَدافعَ الخصومُ انتَابَهُم النُقصانْ
ذَلكَ الذي إسمُه فَتَى الشَامِ
قَديمُ إمتيازٍ بينَ الشعوبِ وعَظيمُ مَكانُ
يا سَادةَ الشَامِ إليكُم أنحني
أغتَسِلُ بِخُطاكُم مَا لوثَهُ الطُغيَانُ
أنبُضْ يًا قَلبَ الشَامِ أنبُضْ
مَنْ طَلبَ الحَياةَ أسرَعَ بِهِ الخَفَقانُ
ما مِنْ حُرٍ يحَيى زَائِفاً
يَرَى المَوتَ حَلاً.. فإليه الأكفانُ
يا بائعَ الخُضرةَ قدْ بعتنا أُمةً
فيها الكرامةُ والحقُ والرُمانُ
من أطعمَ شَعباً مِنْ بَعدِ جُوعٍ
كَانَ نبَياً مُرسلاً دونما القرآنُ
أنبضْ فالتاريخُ عَلمَنا صِناعةَ الأمم
تُولدُ الأُمَمُ بِدماءٍ فيها إيمانُ

* * *

سُودَ البُذورِ توفيكَ إن أحسَنْتَها
مَنْ يحُسنُ الغَرسَ تَطاولَتْ لَهُ الأغصانُ
وبِرغمِ سَحقِ الزُهورِ وخَنقِ طَلعِها
مَنْ سَيَمنعُ الربيعَ إن آنَ الأوانُ.
فأخجِلْ برحيلٍ يليقُ لكَ تَوريثه
من لم يَصنْ وَقتَ الرحيلِ يُهانُ
الآنَ عادَ بكُم ما عاهدْتاكُم له،
الآنَ عادَ بك - يا دمشقُ- الفرسانُ

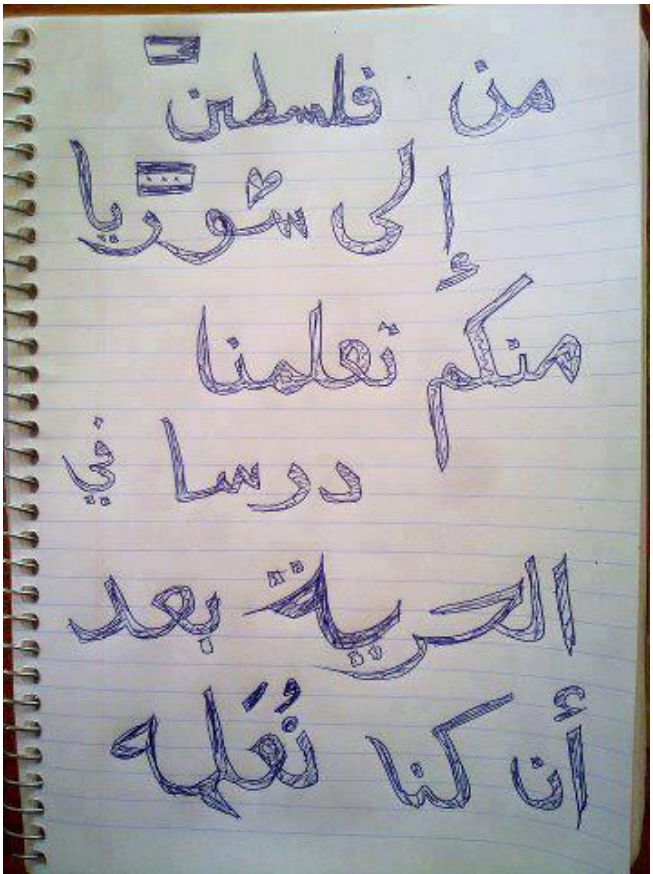


# شال الحرير

■ نوار الجيلاني

على مسرح الشمس
قرب اللّه
ضعي ما شئتِ مني
... و أمضي , أمضي إلى بوابة العبور
حيث أنا
من الزمرد والياقوت
والياسمين المسجى كالشهيد
أطوف كرؤيا العراف
أسكن عينيك
لأرحل بك إلى كل عين
كإنجيل من خبز يسوع
ينتظرني كل الجائعين
ابدأ حيث تنتهي الدموع
أشعل شمعة من روح موسى و أصلي
كالدراويش في حضرة الخليل
فلا تستلي شال الحرير لاغتيالي
حري بي أن أُقتل بالياسمين
حري بي أن أقتل بالياسمين

دمشق 13 / 7 / 2012

# في حضرة الشهادة

■ سامر الحموي

ملك الموت يحوم بأجنحته.. يطير.. يهبط مسرعا.. يحمل أرواحا عظيمة.. كانت تحيا بيننا في بؤس الألم والفقد.. يحملها على جناح الشوق كريمة مدللة.. تنطلق الروح المطمئنة إلى السماء تسمو شيئا فشيئا، السماء بطبقاتها تتهيأ للوافد الكريم، تتزين بحليها لاستقباله... كما المعراج تعرج أيها الأمير... يا بشرى بزفاف الأمراء.. قصور من زجاج تسر الناظرين.. بلاطها من ياقوت وماس.. ستائرها العظيمة من حرير وطيب، إلى القصر أيها الشريف.. الأزهار من كل الأشكال تزهو بأبهى الألوان.. والأنهار يا لصفائها !.. الخدم الملائكي تحني رأسها معا عاش الأمير..

الفراشات الملونة والطيور تحف الأمير.. يتمشى الأمير في الأروقة البهية والأعمدة المزخرفة، إنه الكرسي الأنيق... يصعد الأمير الدرج.. ينزل الكرسي ليجلس الأمير.. يضج القصر بالسلام والتحية... لك السلام أيها الشريف والهناء و السرور، بشراكم اليوم بما صبرتم فنعم الدار.. سموتم فكنتم الأعظم قدرا... تبدأ الأوراق والأزهار بالغناء.. الأنسام تهب والحور تعزف...

أغصان العنب تتدلى من السماء بلطف.. والكل يردد صدقت أيها الأمير.. يا لخلاص النور من رحم الظلام... يا بشرى بخلاصك من حياة حزينة وروح حبيسة... هنا الروح تطير في عالم وسيع.. يا ليتني عدت فبذلت أنفاسي من جديد فسموت وسموت... هي الجنة أحلم بها.. أشتهيها.. وصلتها.. يا هنائي.. ما ماتت الأرواح العظيمة..

إنها في حضرة الشهادة... لا عاشوا في دنياهم إلا في أشواق الآخرة..

أيها الموت لن أحزن.. أهلاً بك في حضرة الشوق والفرح والحب والأمل...

# دمشق تحتضن نازحيها..

■ سعاد يوسف

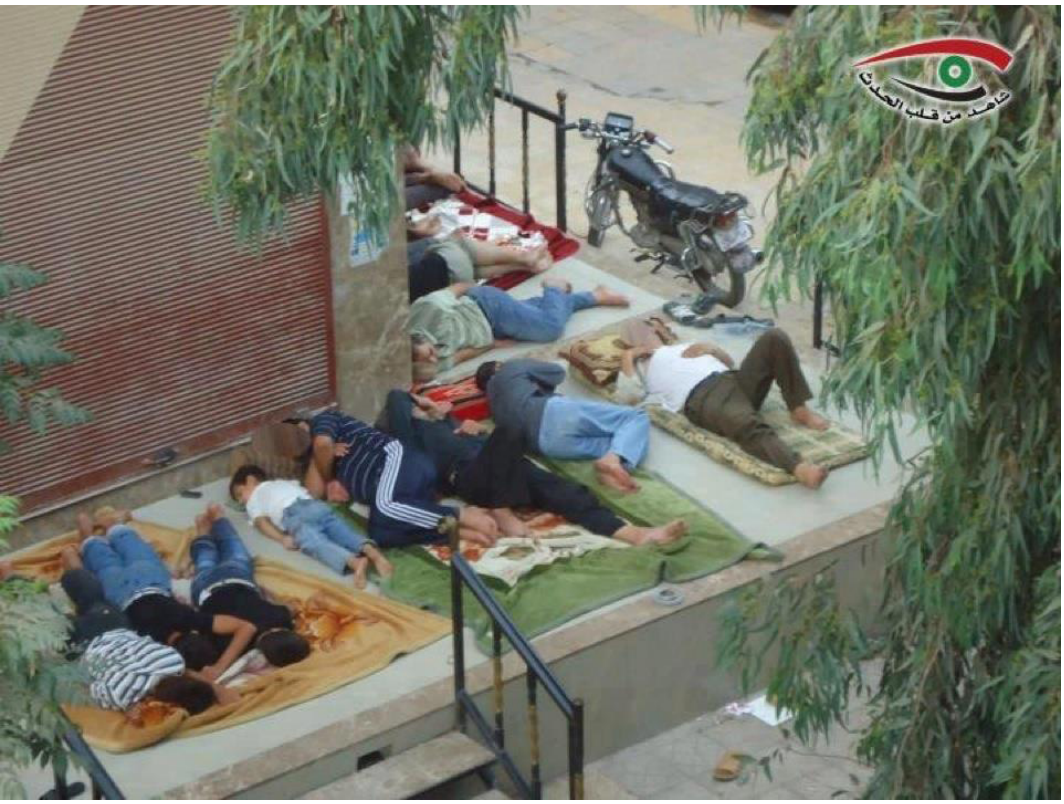

منذ شهر تقريباً، تعيش دمشق مشهداً لم تعتد عليه من قبل: فأهلها مهجرون من منازلهم لا مكان يلتجؤون إليه... افترش الكثير منهم الطرقات والأرصفة والحدائق... تم تجهيز عشرات المدارس كي تؤوي الآلاف من النازحين، بينما ذهب الكثيرون ليقيموا عند أقارب لهم أو ليستأجروا منازلاً في أحياء أكثر هدوءاً رغم الارتفاع الهائل والغير منطقي في الأسعار... ومن جانب آخر عاد قسم كبير من النازحين الغير دمشقيين إلى مدنهم وقراهم... "القصف اللي بتعرفو أحسن من القصف اللي بتتعرف عليه" باتت جملة هزلية يتداولها الكثير من السوريين الآن... فالموت قادم لا محالة، والقذائف تنهال على رؤوس الجميع دون تمييز، والكثيرون يفضلون أن يموتوا في مدينتهم وفي حييهم على الموت في مكان لا ذاكرة لهم فيه.

أقبية أحد الأبنية والذي كان صالة للأعراس والحفلات تحول إلى منزل مؤقت لما يزيد عن الثلاثين عائلة هربت في أول وثاني أيام القصف العنيف الذي تعرض له حي القابون الدمشقي لعدة أيام متتالية... النساء والأطفال يحتلون الغرفة الأكبر بينما يتشارك الرجال غرفة أخرى... وفي المطبخ ارتُجلت عدة طبخ متواضعة تتشارك النساء العمل عليها لتحضير الطعام للجميع...

جلسنا مع بعض الفتيات في غرفتهم الكبيرة... أطفال هنا وهناك نائمون على فرشات لا تكاد ترتفع بضعة ميليمترات عن الأرض، يغطيهم العرق نتيجة الحر الشديد... لا شيء آخر في الغرفة سوى بضع علب حليب وفوط أطفال... إحدى الفتيات همست لي بخجل: "نحن بحاجة لثياب داخلية... خرجنا من منزلنا كما نحن والآن لا نملك شيئاً... ولم نستطع حتى الاستحمام منذ أربعة أيام... " لم تستطع إكمال حديثها لأن دموعها منعتها من ذلك... أي قهر وأي ذل يمكن أن يدفع الإنسان كي يطلب شيئاً على هذه الدرجة من الخصوصية من شخص لم يلتق به من قبل؟

في منزل آخر، تسكن عائلة كبيرة... المنزل يفتقد إلى أبسط احتياجات الإنسان الأساسية: دورة مياه تعمل بشكل جيد... إلا أنه أفضل من البقاء في الشارع بالنسبة لهم... رب العائلة يتحسر على الأيام الماضية: "نحن قمنا بإيواء عشرات العوائل التي نزحت من حمص لدينا... لم نسمح لهم بدفع ليرة واحدة، وكانت كل احتياجاتهم تصلهم حتى باب منزلهم... اليوم نحن بحاجة إلى من يؤوينا... بحاجة إلى من يجلب لنا بعض الطعام والشراب والملابس، مع أنني أمتلك محلاً مليئاً بالطعام والمعلبات... بكل تأكيد أصبح فارغاً الآن بعد أن سيطر الجيش على حينا ونهب كل ما استطاع نهبه... حسبي الله ونعم الوكيل... "

## ممرات "غير" آمنة

لم يكن النزوح دوماً بهذه البساطة. "هدى" تعيش وحيدة مع ابنتها في أحد الأحياء المنكوبة. بقيت صامدة ليومين ثم قررت النجاة بابنتها من كابوس القصف والدمار. "ساعدنا الجيش الحر في الهروب من الحي. كنت أركض مع ابنتي لا نعلم أين يمكن لنا أن نتجه عندما رآنا أحد عناصر الجيش الحر وساعدنا في الوصول إلى سيارة كانت تقل الهاربين خارج الحي". تقول هدى. "أعيش الآن في منزل صديقتي في انتظار أن أتمكن من العودة إلى منزلي. لولا ذلك الشاب البطل من الجيش الحر ما كنا لننجو أنا وطفلتي. "

لعائلة "أبو مهند" قصة أخرى. أثناء هروبهم من حيهم أصاب القناص ابنته الصغيرة ذات الأعوام العشرة في قدمها. تمت معالجتها في أحد المشافي الميدانية قبل أن ينتقلوا لإحدى المدارس التي أصبحت تعج بالنازحين من كل مكان.

## لمدارس دمشق حكايا جديدة

لم تعد مدارس دمشق مكاناً للدراسة واللعب، فقد تحولت خلال أقل من أسبوع واحد إلى منزل كبير لآلاف النازحين. في غضون أيام قليلة عمل المئات من المتطوعين على تجهيز المدارس بكل ما يمكن للقادمين إليها أن يحتاجوه: فرشات، طعام، شراب، أدوية، ملابس، ألعاب للأطفال. تحولت غرف المدرسين والمدرسات إلى مستودعات للمواد وغرف للأدوية، كما تم تحويل إحدى الغرف إلى غرفة للاستحمام يمكن لأي فرد من النازحين الحصول على وقت مخصص فيها. امتلأت الجدران بقصاصات ورقية كتبت عليها تعليمات للمتطوعين وأرقام هواتف ضرورية. وتمت طباعة أوراق كبيرة تحتوي على معلومات هامة للنازحين: ضرورة تسجيل هوياتهم وأسماء جميع أفراد العائلة، ضرورة إخطار المتطوعين عن أية حالة طارئة أو عند الاضطرار للخروج من المدرسة. تنظيم وعمل رائع لم تشهد له دمشق مثيلاً من قبل، رغم ضيق الوقت ومحدودية الإمكانيات والأعداد الهائلة من النازحين الذين ملؤوا الشوارع خلال يوم أو يومين من بدء "معركة دمشق".

## ولحدائقها حكايات أكثر إيلاماً

أما من لم يستطع الذهاب إلى المدارس ربما خجلاً وربما خوفاً، فقد فضل أن يستقر في إحدى الحدائق العامة منتظراً أن يتمكن من العودة إلى منزله. أهالي الأحياء القريبة تعاطفوا مع "نزلاء" هذه الحدائق وحاولوا مساعدتهم بكل ما تيسر لهم من طعام وشراب وثياب. أقاموا معهم بعض الوقت، استمعوا إلى قصصهم ومآسيهم وساعدوا في نقل من أراد منهم إلى أقرب مدرسة لا تزال قادرة على استيعاب نازحين جدد.

لم تخلو كل تلك الأماكن من لحظات تشبه الحياة اليومية في ألمها وأملها، فرحها وحزنها... نازحان تعرفا إلى بعضهما في إحدى المدارس وطلب الشاب من رئيس المتطوعين مرافقته إلى غرفة أهل الفتاة كي يطلب يدها... أم وضعت مولودها في المدرسة... ترى هل ستقول له عندما يكبر أنه لا يشبه أياً من أقرانه وأنه ولد في مدرسة للنازحين؟... أحد النازحين والذي كان يملك في السابق دكاناً صغيراً يبيع فيه بعض الأطعمة والحلويات نقل دكانه إلى المدرسة، فارتجل منصة صغيرة وضع عليها بعض أنواع البسكويت وأخذ يبيعها للأولاد، وآخر يعمل في "تحويل الوحدات" وضع لافتة كتب عليها "تحويل وحدات... سيريالت – أم تي إن" وتابع عمله في المدرسة، وما لبث أن بدأ المارون يدخلون المدرسة كي يطلبوا منه تحويل بعض الوحدات إليهم...

الشعب السوري يحب الحياة، ويريد الحياة... لا يحب الموت ولم يرده يوماً...

وعيون كل أولئك الأطفال الذين يلعبون في تلك الحدائق، وباحات المدارس، يركضون ويشيرون إلى الطائرة القريبة منهم والتي كانت تقصف الحي المجاور ويصرخون: "طيارة... طيارة"

عيونهم وضحكاتهم تقول إن القدر سوف يستجيب قريباً، قريباً جداً...

# أبو محمود.. عن الصمود والثورة

■ عروة المقداد

لطالما بدا له العالم أشبه بالبرميل. حياة رخيصة، مليئة بكل أنواع القاذورات. غرفته في معدة الحجر الأسود تضج بالأحلام وبقصص لا تنتهي. أبو محمود لديه خيال أخصب من كل الروائيين الذين عرفتهم. كان يقول لي: الاقتراب من القذارة يمنحك شيء ما جميل. لا ترتجف شفتيه أبداً، لا تفترآن حتى بابتسامة فقيرة، لكنه يعرف كيف يحيل زواريب الحجر الأسود إلى صخب لا ينتهي من الضحك. بين الساعة الحادية عشر والنصف والثانية عشر ليلاً يُرفع ابريق شاي كبير عن غاز صدء في أحد المنازل. تهيئ الأرجيلة في منزل آخر، ويجتمع مراهقي الأزقة على مصطبات البيوت المتكاتفة، وينصتون إلى قصص أبو محمد، حيث الضحك يكرج من صدورهم كعجلات تنحدر من فوق تلة عالية.

أربعون عام مضت دون أن أنتبه، قال لي وهو يحدق بيديه الفارغتين المبسوطتين كقنديل مطفئ. يُخيل لي أني ولدت مع هذه المكنسة، بلا ذاكرة، كشاطئ فارغ، منسي ككحكاية قديمة وسر دفين في معدة الحجر الأسود.

يبحر في الحواري وهو يجذف في مكنسته. يختفي ليظهر في الحجر كبحار قديم تحفظه الذاكرة على أنه جزء من المكان. اندلعت الثورة، نُسي أبو محمود، لم يكن له مكان فيها، قالي لي: كنت أجبن من أن أشارك، دق الخوف رأسي كمسامير. رجل مثلي من السهل التخلص منه كقمامة. كنت أتمنى أن أشارك لكنني زبال، والزبال عواينية، والعواينية كقناصة تقتل بدم بارد.

رُصد كل العواينية في الحجر، قتل بعضهم وطرد البعض الآخر، لكن شبان الحي حفظوا الخبز والملح لأبو محمود واختاروا أن يهجروه جميعاً.

أصبحت محاصراً. كان يطلب منا في مبنى البلدية أن نورد كل أسماء الشباب في المظاهرات. بعضهم كبر أمام عيني، رسمته بقصصي كما كنت أريد، لم أنجب أطفال، لم ترضى بي امرأة في هذا العالم البخس. كانوا أطفالي، أربيهم أنا وهذه الحارات الخسيئة. وها قد جاء اليوم الذي طلب مني أن أسلم هؤلاء الشباب. اختفيت في منزلي أترقب اللحظة التي سينتهي فيها كل هذا بطلقة طائشة أو باعتقال مفاجئ. دون أن أفكر على يد من ستكون تلك النهاية البائسة لكيس قمامة عرف طوال أربعين عاماً قذارة الحياة وخبرها عن قرب.

كنت أرى كيف نمت أحلامهم بين كل تلك القذارة، وكلما لمحتهم من شباك منزلي لمست شيء ما جميل داخلي. لم أعرف ما هو بالضبط، كان لزجاً كثيفاً يخطف روحك من أسفل البطن ويرفعها إلى أعلى ويُلفظ معها كل قذارة الحياة. رأيت كيف كانوا يحملون اللافتات وكيف سحقوا وضربوا وقتلوا وكيف حملوا السلاح دون أن أستطيع فعل شيء...

اختفى أبو محمود أثناء قصف الحجر الأسود، عشرة أيام من الاشتباكات المتواصلة والهطول العشوائي للقذائف، تحول الحجر إلى كتلة هائلة من الدمار. هرب البعض أو نزح، لا فرق، التسمية ليست مهمة. ولا مساحة للأعباء الأخلاقية الآن. تراكمت القمامة فوق بعضها البعض. وفاحت رائحة الأجساد المتفسخة.

كان الحي أشبه بوكر حيوان مفترس تراكمت فيه الجلود والعظام. ووسط ذلك الدمار لمح أحدهم أبو محمود. أخبرني حيان حينها، لم أتوقع أن أراه! أبو محمود مضحك الحارة وزبالها والعواينة المشكوك بأمره كان يمسك مكنسته وينظف الطرق ويتخلص من القمامة.

ظننت أنه يترصد حركة الجيش الحر، لكنه كان منكب على عمله وكأنه ينظف منزله. هتفت به: أبو محمود شو عم تعمل عندك؟!

نظر إلي والعرق يتقطر من جبينه يسيل على خدوده وينسكب على صدره، ولأول مرة شعرت بدفيء عينيه. داهمت ذاكرتي أمسيات الحجر والضحك على قصصه، وعرفت أنها المرة الأولى التي أشاهد فيها أبو محمود يضحك منذ أن وعيت على هذه الدنيا، وأجابني حينها:

- مثل مانك شايف، عم بنظف البيت!

- أي بيت؟

- الحجر بيتي يا حيان.

وصمت، انفصلت جنازير حنكي التي تلتقط الكلمات.

أكمل عمله ومن ثم التفت نحوي وهو يبتسم: أنا كبرت، والحياة هدتني، وما كنت مثلكم أقدر اطلع بمظاهرة، ولا كان فيني شيل سلاح، بس فيني نظف هي شغلتي.

- بس إذا إجوا ح يقتلوك.

- هي بيتي وما بطلع منه إلا على جثتي.

واتسعت ابتسامته، وابتلعت كل الدمار واختطفت الضجيج الذي أورثه سقوط قذيفة على مقربة منا.

أبو محمود مازال في الحجر الأسود رغم كل القصف والدمار. وعند المساء يتحلق الشباب حوله بعد الاشتباكات الطاحنة ليروي لهم قصصه المضحكة ويزيل عنهم أثر الدم والحديد، حيث يعودون أولئك المراهقين الحالمين بحياة ومستقبل أفضل.

# جنـــازة

■ ياسر خنجر - سجن تسلمون

تركتُ جسمي مُغمَضاً في الجنازة
مُتهاوياً ببرودةٍ فوق الرُخام
كسنبلةٍ وَثبت عليها الريحُ
تغرزُ شَفَةَ المنجل في خَصرها
تُذريها دمعةٌ في العَين
وحقلاً على أهبة الولادة
تركتُ جسمي مُغمَضاً في الجنازة
ومضيتُ في رؤياي
مِتّكئاً على النّصل الذي زَفَرتهُ
أنفاسُ الندى في فضّةِ الأفق
الرشيق
فانصدَعَت صلاةُ الضوء
واندلَعَت حرائقُ في خدودِ الورد
تفتنُ قلبَ عاشقةٍ
غَافَلت حُلكَةَ الليل الذي
نَمَشَت قبابهُ غمزاتُ عاشقها
أن أنبأته نجمةٌ وَهَجت في السديم
أن أرخت يديها كسُلّم من نور
تحمله الى أوج المُنتهى
وقد بَعَثت عينيهِ سَكينَةْ
وها وَجَعُ البنفسج يلهَثُ في جسمِهِ
المُتَقمّص شجراً مائلاً للرماد
آيلاً لتوسّدِ الأبيض الأبديّ
في سفرٍ أخير
بَعدما كَانَ رمشاً نابتاً فوق جفنِ البلاد
تعجّلهُ الحصاد
تعجّلته فأس حطّابٍ صدئ القلب
طاعن في الخراب
يُسدلُ ستائر الموتِ على شرفة اللّه
قوافلَ أكفانٍ تنتقي كل صبح جنائزها
واختارني برصاصةٍ حين حلمتُ
بغيم ماطر وشمس أدفأ
فانصدعَتْ صلاةُ الضوء
واندلعَت حرائق في خدودِ الورد
تفتنُ قلبَ عاشقةٍ
لم يزيّن خاتمُ العُرسِ اصبعها
فمَشت في موكبِ النعشِ
بثوبِ الزفاف. قالت:
" مُذ رَفعتُ عينيَّ إلى الشمس
ما عدتُ محكومةً بهاويةٍ وظلُ صرتُ
إلى الشمسِ أسيرُ
تلكَ شاهدةٌ معلقةٌ على الدربِ الذي اخترتُ
وما مِن موعدٍ آتيهِ إلاّ كي نكونَ
وثالثنا شروقٌ موشكٌ"
حدّقت في بوحها كتلةُ النار التي
سقطت كلعنةٍ من يد الحطّاب
لا تقصدُ الدفءَ ولكن
كي تُحكِم المعنى تماماً
أغمَدت لهب الشظايا
في اخضرار القلب
تركت جسمها قربَ جسمي مغمضاً
في الجنازة
كسنبلةٍ
وأشرقت ترقبُ العرسَ
في فرحِ البلاد

نقلاً عن: صفحات سورية 3 / 8 / 2012

# 'إعزاز' بلدة سورية تستحق اسمها

■ عبد الحميد عبود

أنا في سوريا، أنا حقا في سوريا، شلحتُ الشورت ولبستُ السروال، شلحت الشبشب وانتعلتُ البوسطار، أنا هنا في دائرة الحرب وعليّ أن أستعد لها شكليًا على الأقل، هاهي 'إعزاز' قرية سورية حدودية تشتغل بالتهريب مع تركيا ولكنها الآن تشتغل بالثورة، 'الجيش الحر داعس على رأس الأسد' هذه أول عبارة صادفتني على حيطان الجمارك، الغرف المكيّفة التي كان يسكنها ضباط بعثيون مكرشون الآن يحتلها شبان متحمسون ولا عهد لهم بالبيروقراطية والبقشيش، ثمة حماس عفوي يذكرني ببواكير الثورة الفلسطينية، قلت لمأمور المركز الإعلامي 'أنا إنسان حر وواضع نفسي تحت تصرف الجيش الحر' هذه ثورتي وحلم حياتي، أنا سوري رغم فلسطينيتي وأجيد استعمال السلاح كما أجيد استعمال القلم' فنظروا لي باستغراب.

المجاهدون عادة ما يكون لهم ذقون شرعية وليس شكل سياح، جاء شاب ملتح وقال 'إصعد معي في السيارة' فصعدتُ، سرنا في عتمة كالحة، قال لي نضمك إلى الكتائب الإسلامية، الذقون تخيفني كما يخيفني شبيحة النظام، شعرت بالحرج فقلت 'ما عندي مانع ولكني لا أصوم ولا أصلي'، اهتزت السيارة من المفاجأة، ' كيف رايح للجهاد وأنت لا تصوم ولا تصلي، ولماذا تجاهد أساسا؟ قلت 'في سبيل الحرية وفي سبيل سوريا ' فافهمني بنبرة شرعية أن الجهاد لا يكون إلا في سبيل الله '، قلت له 'هذا البلد هو بلد السني والعلوي والمسيحي والدرزي والكردي' قال لي غاضبا 'انزل من السيارة '، فنزلتُ في عز الليل ووجدتني في طريق وعر مهجور، ليس من الكياسة أن تكون وحدك على خط التماس حيث لا يتجرأ اثنان أن يمشيا، لكني لم أقطع أربع آلاف كيلومتر من أجل أن أرجع، أنا عنيد وحيثما ذهبتُ أذهب بكل قلقي، السير على الطريق المهجور كالسير على نصل الموس، العتمة أمامك والعتمة خلفك فعلى أي جانبيك تميل؟ ولا يهم أنك تمشي ببطء، ولكن المهم هو ألا تتوقف.

توقف لي موتوسيكل سألني راكبه عن وجهتي، قلت 'إعزاز '، 'هكذا وحدك'، 'نعم وحدي'، قال لي 'حظك كويس ولو وقعت بيد شبيحة النظام لذبحوك '، أردفني خلفه وقادني إلى بيته، كان ثمة نفر من الأشخاص وضعوا قدامي صحون الفستق الحلبي والبطيخ والسجائر، السوري قلبه فلسطيني، والشيخ عز الدين القسّام علمنا أن الجرح العربي لا يتجزأ، من النقاش أدركتُ أن شباب إعزاز ناضج وواع ومنفتح وعطشان للحرية، وهم يتكلمون كنت أخالهم في الثلاثين ولكنهم لم يبلغوا العشرين، الثورة أنضجتهم قبل الأوان، من يسمع كلامهم يحسب أن سوريا كابوس كافكاوي يمتد من درعا إلى القامشلي إلى دير الزور ومن حلب إلى تل كلخ، النظام تركيبته أمنية في كل محافظة (وأحيانا مدينة) يوجد خمسة أفرع أمنية وهي المخابرات الجوية، الأمن العسكري، أمن الدولة، الأمن الجنائي، الأمن السياسي، بالإضافة إلى المخفر، (وهؤلاء الجلاوزة الأمنيون غالبا ما يتنافسون فيما بينهم للاستحواذ على الفريسة وخاصة إذا كانت دسمة ومن الصنف الذي يدفع إكرامية وحلوان الخروج) النظام يريد أن يكسر عين الشعب ولكن وحشيته تفعل المفعول العكسي، النظام يستشرس وهذا من علامات نهايته، وكان السؤال الذي يتردد دائما 'هل إسرائيل تضرب الفلسطينيين بهذه الوحشية؟ لا يمكن المفاضلة بين السل والطاعون ولكن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة، ومن هنا نقمتهم على النظام، النظام الناقم على إعزاز لأنها بؤرة الثورة في ريف حلب، كان يحاول إذلالها بقطع الماء والكهرباء والانترنت، ومن خلال الاعتقال التعسفي، الجيش النظامي اقتحمها وأحد الحلونجية كان يعرف أن الجنود سيمارسون نهب المحلات فسمّم حلوياته.

باسل مرعنازي أول شهيد سقط في المظاهرات وأسقط حاجز الخوف والمظاهرات صارت يومية، القناصة والشبيحة فيما بينهم كانوا يتراهنون على علبة دخان لمن يقدر أن يصيب ذلك المواطن العادي الذي يعبر الشارع، معركة الثوار للسيطرة على مقر الأمن العسكري (الباستيل الإعزازي) دامت 21 يوما، بعد قصف البلدة بالطيران قالت قناة الدنيا المؤيدة أن إعزاز أصابها زلزال (حتى غوبلز لا يستطيع أن يجيد أفضل من هذا) في المقبرة المرتجلة قبور جماعية وقبور فارغة تنتظر شهداء مقبلين وكل الموتى (وعددهم يفوق المائة) ماتوا في يوم واحد 15 آب، هذا لا يحدث إلا في سوريا، سوريا الأسد، النظام خسر المواجهة المباشرة فقصفها بالطيران، استأسد عليها من فوق، حولها إلى مدينة أشباح مشرّعة بوجه الموت، حتى عشيرة العجيل المؤيدة للأسد قتل بعض أفرادها في الغارة الجوية فصارت معارضة، الأهالي يخشون غارة جديدة مفاجئة تحوّل العيد إلى مأتم، احدهم من شدة جزعه صار يرتعد من صوت محرك السيارة، آخر صار ينقز من رؤية المئذنة لأن قناصة النظام كانوا يتمترسون بها، البلدة تبدو فقيرة، البيوت بائسة باستثناء بعض دور المتنفذين وكبار مهربي المازوت الذين كتبوا على قصورهم 'هذا من فضل ربي'.

على الحيطان تستطيع أن ترى الشعارات الشعبية ' المارد يخرج من القمقم، سوريا بدها (تريد) حرية، حرية وبس، 'يسقط النظام والصفيقة'، الموت ولا المذلة'، ثمة شعارات كتبها الشبيحة 'الأسد أو لا أحد '، 'الله للعبادة والأسد للقيادة'، 'شبيحة للأبد لأجل عيون الأسد'، 'الأسد أو نحرق البلد'، حيثما توجهنا نجد الدمار، الدمار أيضا وأيضا، الروس كذلك يريدون أن يجربوا سلاحهم الجديد في لحم الشعب السوري، يبدو أن الناس تعودت على منظر الموت فصار روتينا، وجنازات الشهداء تأتي من كل صوب لتصب في المقبرة، مدفعية النظام المتمترسة في مطار 'منَغ' القريب قصفت حتى المشيعين فقتلت منهم ثلاثة، الطحين مفقود والمازوت والمواد التموينية وجرة الغاز تباع بالعملة الصعبة، الوضع كارثي والحرب خلفت جيشا من الأرامل والثكالى، عمال النظافة هجروا أعمالهم فتحولت البلدة إلى مزبلة كبيرة، الأطباء تخاذلوا وغادروا البلدة باستثناء ممرض درعاوي أسمه 'أنس' رقى نفسه من ممرض إلى طبيب وقام بدور خارق لإسعاف الجرحى، الجرحى متروكون لمصيرهم والمصاب برجله قد يموت من شدة النزيف، الأصعبَ لم يأتِ بعد، أحيانا تتكون الحياة من شدة الموت، السوريون يعرفون أن الحرية إعرابها صعب وتتهجى مع الدم، لسان حالهم يقول 'سنموت، سنموت كثيرا قبل أن نتحرر'، يعرفون بغريزتهم الثورية أن المعركة مع النظام شطرنجية، يقولون روسيا ضدنا والصين، إيران ضدنا وحزب الله، ومن هو معنا ليس حقا معنا لأنهم لا يزودنا بالسلاح اللازم، حتى تركيا لا تحيد أكثر من استقبال اللاجئين والجرحى، أما دول الخليج النفطية فمُعْرضة وتسعى دائما لتجيير الثورات لصالحها، يختمون بجبرية شرقية 'الله وحده معنا' لم يعودوا يميزون بين أعور الدجال والمهدي المنتظر، 'الثورة السورية لا يمكنها أن تكون بيضاء بلا إراقة دماء لأن النظام يريد أن يرحل رحيلا يليق بمقامه (على جثث 17 مليون سوري) الجنرال الغضنفر ماهر الأسد قال مهددا 'سنترك سوريا (وعدد سكانها 22 مليون نسمة) كما استلمناها (خمس ملايين نسمة)، الشعب السوري كله منخرط في المعركة: الكبير والصغير السلفي والوطني والعلماني والتواق للحرية، المعركة غير متكافئة، والجيش النظامي يرد على الكلاشن بالهواوين والطائرات مما يضطر الثوار لأن يطبقوا تكتيك حرب الريف والمدن 'أضرب وأهرب وناوش'، لكن حماس البدايات غالبا ما يتبدد فالثورة جميلة في الكتب والأشعار، حين تطول تصبح محبطة، خاصة حين يخسر المواطن كل ما يملك وينام تحت شجرة زيتون هو وأطفاله، ويكتفي بالخبز والزعتر.

'الثورة تجارة والإنسان سلعة والوطن سوق' تذمر أحد النازحين القرفانين من النزوح المتواصل، 'لكن الحرية مخاض عسير، ثورة صعبة أحسن من ثورة سهلة 'جاوبه نازح آخر، 'أن كان الاستمرار في الثورة شهادة فالانسحاب منها انتحار' يعرف السوريون أن الثمن المطلوب غال لأن الحرية التي تنتظرهم غالية وهذا هو ما يميز ثورتهم عن بقية الثورات العربية، أنها دفعت وحدها ضريبة أكثر من الكل مجتمعين ولم تصل بعد.

رحالة ومغامر فلسطيني

القدس العربي 24 / 8 / 2012

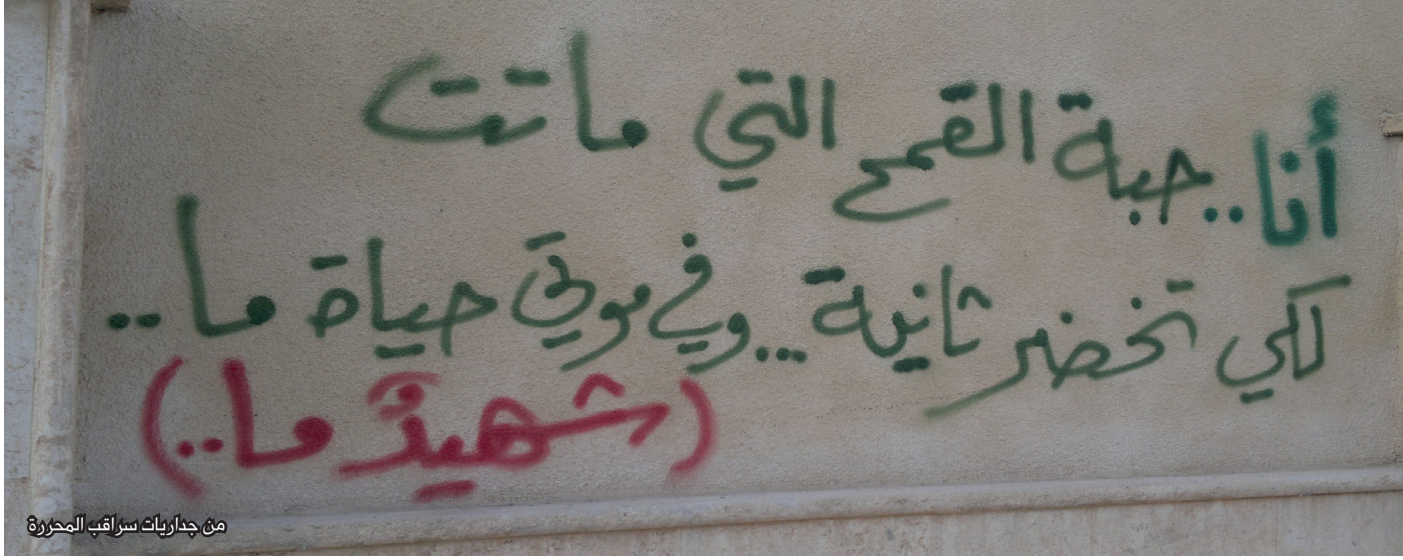

من جداريات سراقب المحررة

# سراقب المحرّرة..
# أبطال يعيشون في الجحيم

■ يارا نصير

يارا نصير، مراسلة موقع "لبنان الآن" انتقلت إلى الداخل السوري "المحرّر" لتروي قصصاً عن حياة السكان ومعاناتهم وآمالهم وتطلعاتهم في رحاب الثورة السورية، فيما يواصل النظام انهياره على وقع ضربات "الجيش الحر" وتظاهرات لا تزال تخرج يومياً على الرغم من المعارك الدائرة في أكثر من محافظة.

يصوّر برتولد بريخت، المسرحي الألماني الذي رصد في نصوصه تجربة الحرب العالمية الثانية، "الإنسان البطل"، على أنه إنسان عادي بسيط، لم يسمع بقصّته أحد ولم تُشهَر وسائل الإعلام، لكنّه في العمق بطل عظيم بتجربته الذاتية وبقدرته العظيمة على التأثير في حياة الآخرين، هو البطل الذي يطوي بين جناحيه أسطورته الشخصية ويحميها من متصيدي الأخبار العاجلة، لا تكشفها إلا عين فضولية دافعها الشغف. كانت مدينة سراقب التي وصلتُ إليها مؤخراً بامتياز مدينة "أناس أبطال"، يبدون للوهلة الأولى أشخاصاً عاديين يعملون في مهن عادية ويعيشون حياتهم كما اعتادوا منذ زمن.

بعد قضاء وقت مترع بزخم تجربة سراقب، يدرك الزائر أنّه لا يوجد فيها أشخاص عاديون، بل أبطال يعيشون ملاحمهم البطولية في صمت تتخلله أحياناً ابتسامة وربما ضحكة، بحسب ما تسعف المعنويات على الضحك، لكن من دون دموع.

## عبد الله دافن الشهداء

في ذلك المساء، كنّا مجتمعين على مائدة الإفطار، نأكل بصمت ونفكر أين سقطت القذيفة التي هزت المدينة منذ قليل؟ هل هناك شهداء، جرحى أم أيتام جدد؟ فسراقب اعتادت أن تفطر في رمضان على العديد من القذائف المتتابعة، قذائف تدكّ كل يوم بضعة بيوت وتثكل بضع أمهات.

دخل بهدوء وتمتم سلاماً خافتاً، جرّ كرسيه تحت شجرة الرمان ثم أشعل سيجارة. همس "أبو علي" في أذني: "هذا عبدو، يدفن شهداء سراقب، فإن كنت تبحثين عن بطل في المدينة فقد وجدتِه".

سحبتُ كرسياً وجلست قربه، وسرعان ما لفّنا حديث طويل ذو شجون. اسمه عبد الإله أصلان، كان مغترباً معظم حياته وعاد منذ خمس سنوات ليستقر في سراقب، مصاب بمرض في القلب ويعمل في تجارة العقارات ومؤخراً دهان. كان من أوائل المشاركين في التظاهرة الأولى في المدينة، والتي خرجت من جامع الزاوية. قرر عبدو، كما يناديه أصحابه، أن يصبح دافن الشهداء في سراقب بعدما دفن بيديه غسان العبود، أول شهيد سقط في المدينة. كان العبود جندياً في الجيش رفض إطلاق النار فقتلوه برصاصة من الخلف. يقول عبد الإله: "حزنت عليه لأنه كان مظلوماً، حملته إلى القبر بيدي وبكيت وبكيت وبكيت... قلت لهم انتظروا فإن الأعظم قادم.. وهذا ما حصل".

من يومها، أقسم أن يدفن بنفسه جميع الشهداء لكنه لم يستطع الوفاء بقسمه دائماً لأن عدد الشهداء في المجازر كان أكبر من أن يحتمل دفنهم وحده.

لم يعتد عبدو الموت، في كل مرة يدفن فيها شهيداً يبكي وكأنها المرة الأولى. روى حكاية الثلاثاء الأسود لسراقب في السابع والعشرين من آذار (مارس) الماضي. في السبت الذي سبقه دخل الجيش إلى المدينة، طرق بعض العسكر الأبواب في الحي الجنوبي طلباً للطعام، وحذّروا الأهالي من مجيء الشبّيحة في الأيام التالية، وصفوهم بأنهم "وحوش" وطلبوا من شباب "الجيش الحر" أن يغادروا قبل وصولهم. الشباب رفضوا وأصرّوا على البقاء لحماية الأهالي. الجنود الذي احتلّوا الحي الشمالي تصرفوا بطريقة مختلفة تماماً، حرقوا البيوت وهدموا بعضها ونهبوا المحال التجارية وقتلوا واعتقلوا. حاول بعض الأهالي الهرب فقتلوا منهم خمسة على أحد الحواجز.

أحدهم أخبر الجنود أنه ليس من سراقب ويريد فقط العودة لمنزله في القرية المجاورة، فطلبوا منه أن يستأذن القائد. دخل المكتب ليسأله، وخرج منه جثة هامدة.

مع حلول مساء الاثنين، خرج الجيش بعدما "طهّر" المدينة بحصيلة تجاوزت ٢٥ شهيداً. وبعدما ظنّ الأهالي أنّ الكابوس انتهى، استيقظوا في اليوم التالي ليجدوا الجيش يحاصر سراقب تماماً، وفي غضون الظهر، لم يعد أحد يستطيع المغادرة. حوصر الجميع في الداخل وسرعان ما بدأت الاشتباكات بين الجيشين النظامي والحر. لم يكن لدى الثوار ما يقاتلون به بعدما استُنزفوا لثلاثة أيام، ما تبقى كان بضعة ألغام أرضية والقليل القليل من الذخيرة، وعلموا بأنهم كانوا في طريقهم إلى الموت.

ما تلى كان مجزرة وحشية. كل من لم يستطع الزحف خارج المدينة والهرب، قُتل. كانت الجثث منتشرة على الأرض، نقلها عبدو مع بعض الشباب واحدة واحدة إلى غرفة منزل خوفاً من أن يسرقها الشبّيحة، وبعدما انتهوا شطفوا الشارع لإخفاء الدماء. في صباح اليوم التالي، كوّمت الجثث في شاحنة كانت تُستخدَم لنقل الفراريج ونُقلت إلى مقبرة الشهداء، ثم دفنت في حفرة جماعية. بُعيد الانتهاء كان لون عبدو أحمر تماماً، سارع إلى التسلل خارج سراقب إذ كان معروفاً ومطلوباً. هرب والحزن يكاد يشله، كانوا شباباً في عمر الزهور. "كانوا المستقبل، وأنا دفنت المستقبل بيدي".

بعد أيام، وُجد "محمد عبود"، أحد أجمل شباب المدينة، مقتولاً ومرمياً في مكب النفايات، كان مذبوحاً من رقبته وعلى جسده آثار تعذيب لا تنتهي وفي كتفه الأيمن طلق ناري. تساءل عبدو بدهشة: "من الذي يملك ما يكفي من الأعصاب ليعذب شاباً بهذه الطريقة؟"، لم يجرؤ أحد على الاقتراب إذ كان الدود يخرج من جروحه، وحده عبدو حمله وغسله وكفنه ودفنه، وبكى عليه.

روى عبدو أيضاً قصة القذيفة التي سقطت على آل بريك وهم يشربون الشاي أمام باب منزلهم، قتل معظم أفراد العائلة وقتلت إيلاف، الطفلة ذات الخمس سنوات. كانت جثتها بلا رأس، سارع إلى ضمها لإخفاء ما حدث، إذ كانت أمها تبكي خلفه وتصرخ طالبة رؤيتها. "قبلي قدميها" صرخ "لديك القدمان فقبليهما". لفّ الطفلة بشرشف وأصرّ ألاّ تدفن مع البقية، ودفنها في قبر حُفِر لها وحدها. ابنة عمّها شيماء عمرها تسع سنوات فقدت أفراد أسرتها وساقيها معاً. "قبل الحادثة بوقت قليل، كنا نحتفل بمقتل أفراد خلية الأزمة"، يقول عبدو، كان يوزّع الحلويات ابتهاجاً وكانت إيلاف وشيماء ترقصان وتأكلان من يديه. قذيفة واحدة كانت كافية لتحوّل الحفلة مأتماً ولتترك على وجه سراقب ندباً أبدياً لا يمحى.

عبدو لم يكن فقط حزيناً، كان غاضباً جداً. صرخ وهو يحدثني "يكفي، على شلال الدم هذا أن يتوقف"، طلب مني أن أخبر المعارضة وروسيا وإيران ومجلس الأمن والعالم أجمع بذلك، وأن أخبرهم أيضاً أن صورة الموت هنا ماثلة في عيون الناس، مطبوعة في أعماق روحهم ومحفورة في هواء المدينة. "يوماً ما سننتصر" ختم وهو يغتصب نصف ابتسامة "وسنحتفل معاً أنا وأنت هنا حيث دفن الموت".

ولا يزال للحديث بقية..

عن موقع لبنان الآن

# الإصلاح الزراعي في سوريا

■ بلال سلامة

## نمط خراجي - إقطاعي

الصورة العامة للبلاد منذ القدم ولغاية النصف الثاني من القرن العشرين هي: بحر من الريف والفلاحين وجزر من المدن.

تاريخ الفلاحين في سورية تاريخ ابتزاز خراجي. لان الطبقات الحاكمة عاشت واغتنت، منذ الغزو البابلي ولغاية الاستعمار العثماني، بفضل الموارد التي كانت تأتيها من ابتزازها لفائض من عمل الفلاحين. فالابتزاز الخراجي كان السمة السائدة لهذا التاريخ.

يتميز "نمط الإنتاج الخراجي" – كمفهوم - بانفصال المجتمع إلى طبقتين أساسيتين: الأولى، هي طبقة الفلاحين الذين يعيشون في إطار جماعات. والثانية، هي الطبقة الحاكمة التي تحتكر وظائف التنظيم السياسي للمجتمع وإدارته وتبتز "خراجاً" غير بضاعي من المجموعات الفلاحية الأولى. لكن نمط الإنتاج الخراجي "الأحدث تاريخياً" اتسم بالميل الواضح إلى التحول إقطاعياً، بمعنى أن الطبقة الحاكمة حلت محل الجماعات الفلاحية في الملكية الخاصة للأرض، التي كان اغلبها ملكية مشاعية للجماعات الفلاحية. وتعايش هذا النمط الإنتاجي، الذي ساد لغاية عشية الحرب العالمية الأولى، مع نمط الإنتاج السلعي البسيط، الذي كان يحكم مجال الإنتاج الحرفي. وهذا الأخير كان هاما جداً في سورية، على الأقل حتى نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأ دخول المنتجات الأوربية في خلخلة بنية الاقتصاد السوري، وغيره من اقتصاديات المنطقة. ونسف الأسس التي كان يقوم عليها المجتمع التقليدي في بلادنا.

## تطور شكل ملكية الأرض

من المعروف أن الريع "الإقطاعي" قد مر كلاسيكيا بعدة مراحل: الأولى، هي مرحلة الريع الذي يستوفى بالعمل الإلزامي أو السخرة. والثانية، هي الريع الطبيعي أو العيني. والثالثة، وهي تقترن بمرحلة انهيار النظام الإقطاعي وقيام النظام الرأسمالي، هي الريع النقدي. حيث تنفصل فيها الملكية الزراعية عن الإنتاج الزراعي.

تميزت مرحلة قبل الإصلاحات، قبل عام 1839، بان أراضي "الملك" و "الوقف" تشكلان حالتان استثنائيتان. يعترف فيهما بان تلك الأراضي ليست ملكا للسلطان. بينما غالبية الأراضي هي ملكية الدولة، مما يعني أن ملكيتها تعود للسلطان. كان الغرض الأساسي لهذا الشكل من الملكية هو منع نمو طبقة نبلاء أراضي (أي إقطاعيين) ومنع أي تمركز عقاري تفلت عن سيطرة الحاكم. وهذا يفسر الإعلان الدوري للدولة عن قوانين تمنع الفلاحين من مغادرة أراضيهم وهجرها، مما جعل من الفلاحين الطبقة المركزية في الزراعة، تحصل الدولة على القسم الأهم من مداخيلها منهم. وذلك ليس لكونها المالك الرئيسي، بل لكونها الإداري الوحيد. باختصار، كان الهم الأساسي للدولة العثمانية هو الدفاع الشرس عن الزراعة المجزئة ضد خطر تشكل ملكيات عقارية كبيرة.

## التحول "الإقطاعي"

هدفت الإصلاحات العثمانية أو " التنظيمات " (1839-1860) إلى تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور للإمبراطورية، الذي نسف الاندماج العنيف في السوق العالمية أسسه، بعد استسلام الباب العالي لرأس المال العالمي. وقد أطلق السلطان عبد المجيد هذه الإصلاحات على اثر حملة محمد علي في بلاد الشام. وقد شملت هذه "التنظيمات" سلسلة من الإجراءات منها تغيير ضريبة الجزية عام 1841 حيث أصبح تحصيلها من صلاحيات زعماء الطوائف الدينية. ومن ثم ألغيت هذه الضريبة في عام 1855. والإجراء الثاني هو توحيد نظام الضرائب على الأراضي وأصبح هناك ضريبتان على كل الأراضي: الأولى، هي ضريبة الدخل وهي ضريبة العشر. والثانية، هي الضريبة على رأس المال، أي على السعر المقدر للأرض. وشكلت إدارة خاصة، أطلق عليها اسم إدارة الطابو كلفت بإصدار بيانات لشاغري الأرض. لكن بقي هذا الإجراء الأخير دون أي تأثير فعلي، لأن الفلاح كان يقوم في اغلب الأحيان، وخوفاً من الضرائب، بإعطاء بيانات الملكية "سند الطابو" للأغوات والوجهاء والشيوخ، الذين وضعوها باسمهم.

وشملت الإصلاحات قراراً، قيل انه كان في الأصل يهدف إلى حماية محصول الأرض، ينص على آن ترك الأرض بوارا لمدة ثلاث سنوات يجعلها بدون مالك. أي يتم تجريد المالك من ملكيته لها. وقد أدى هذا التشريع في عام 1858 إلى مصادرة واسعة للأراضي بحجة أنها غير مزروعة. لكن الهدف الحقيقي لهذا القرار كان حل الملكية الجماعية "المشاع" لصالح الملكية الفردية "الخصخصة". وقامت الحكومة العثمانية في عام 1863 بتوزيع كل أراضي الفلاحين الواقعة تحت بند المشاع، لكن هذا التوزيع نفذ ببطء شديد في سورية. في عشية الحرب العالمية الأولى، لم تكن سوى ربع الأراضي السورية مملوكة "مفروزة" فقط.

هذه هي الخلفية التي نشأت من خلالها الملكية العقارية الكبيرة، التي قامت على إخضاع المدن للريف. هذا الإخضاع ساهمت في تحقيقه عدة عوامل. منها الهيمنة السياسية والاجتماعية للمدن، والهيمنة الاقتصادية للمدن على الثروة العقارية. فقد استطاع أغنياء المدن، وعبر ثلاث وسائل، انتزاع الأرض من أصحابها وتحقيق الهيمنة الاقتصادية على الريف، وهي: الربا والشراء والعمولة.

وهكذا اكتسب الآغا والأفندي والبيك والباشا والشيخ - أكانوا في المدينة أم في الجبل أم في البادية - نفس الشخصية الواحدة: الملاك العقاري الكبير. هذه الشريحة يقف على قمتها السلطان عبد الحميد الذي كان يملك ما لا يقل عن 15 مليون دونم و 1114 قرية.

## الرأسمالية الزراعية

في الواقع، كانت المهمة الرئيسية للاحتلال الفرنسي لسورية هي تشكيل الملكية الزراعية الخاصة، عبر عدة قنوات. الأولى، تخصيص الأراضي المشاعية والتي كانت منتشرة في مناطق حمص وحلب والساحل وحوران. ولهذا الغرض حددت الإدارة الفرنسية ضرورة اتفاق المالكين على اقتسام الأرض المشاع.

وفي حال عدم الاتفاق فيما بينهم، احتفظت لنفسها بالحق في فرض القسمة بالقوة عن طريق قاضي عقاري يساعده موظف من مديرية الزراعة ومهندس. الثانية، تجميع الملكيات المجزئة، إذ حدد مرسوم صدر في 15 آذار 1934 آليات تجميع الأجزاء المتناثرة التي تعود إلى مالك واحد في قطعة واحدة محددة. الثالثة، تجزئة الملكيات الكبيرة وبالأخص ملكية الدولة، فقد بلغت مساحة الأراضي المملوكة للدولة عام 1927 أكثر من 2 مليون هكتار. ولهذا الغرض حدد المرسوم الصادر في 5 أيار 1925 انه لا يمكن بيع الأرض العائدة للدولة إلا إلى مزارعين يطلب منهم أن يستثمروها بأنفسهم خلال مدة إيجار تبلغ 15 عاماً. أما فيما يتعلق بتجزئة الملكيات الكبيرة الخاصة، فلم تحصل سوى محاولة شاحبة في منطقة اللاذقية عام 1929، ويعود السبب في ذلك إلى الوزن السياسي الكبير لكبار الملاك العقاريين في تلك المرحلة.

## الإصلاحات الزراعية بعد الاستقلال

من المعروف أن أول "إصلاح زراعي" في هذه الحقبة هي الإجراءات الصادرة بعد أول انقلاب عسكري في تاريخ سورية الحديث. عقب انقلاب حسني الزعيم عام 1949. إذ قامت الحكومة بتوزيع جزء من أراضي الدولة. لكن مدى وأهمية هذا الإجراء كانا ضحلين، إضافة إلى أن اغلبه كان لمصلحة كبار ملاكي الأراضي.

وفي دستور سورية عام 1950 وردت فقرة تنص على إنجاز "إصلاح زراعي وتحسين حالة الفلاحين" لكنها بقيت حرفاً ميتاً. فقد أدى مشروع قانون طرح على البرلمان في أيلول 1951، يستهدف تحديد سقف الملكية العقارية، إلى رفض البرلمان والحكومة له، وذلك بسبب هيمنة أغلبية من الملاكين العقاريين الكبار عليهما. وفي هذا السياق قدر بيلي ويندر نسبة كبار الملاكين الكبار السوريين في البرلمان من عام 1919 إلى عام 1954 فكانت كالتالي:

البادية السورية

حماة.. والعاصي الخصب

عام 1919 ٪38
عام 1928 ٪37
عام 1932 ٪ 25
عام 1936 ٪51
عام 1943 ٪54
عام 1947 ٪50
عام 1949 ٪43
عام 1953 ٪33
عام 1954 ٪42

فـي الواقـع، لا يمكـن الحديـث عن إصلاح زراعي جدير بالاسم قبل إصلاح عام 1958. والأسباب التي منعت حصول إصـلاح زراعي قبل هـذا التاريخ عديدة. منها المركز الهـام الذي كان يحتله رأس المـال التجاري داخـل الطبقة السـائدة، حيـث كانـت أغلـب المنتجـات الزراعيـة معـدة للتصدير. كما أن الطبقة السـائدة لم تستشـعر الحاجة إلى يد عاملة يمكن أن يحررهـا إصـلاح زراعـي حقيقـي، وذلكِ بسـبب ضعف الصناعـة والتصنيع معـاً. مثلما وقف قسـم مـن البرجوازية الصناعيـة السـورية ضـد توسـيع كبير وفجائي للسوق، لأنه كان يحتكر السوق الداخلـي السـوري. وأخيـراً، علينـا أن لا ننسـى النفوذ الكبير لكبـار الملاك على جهاز الدولة، وتشتت وضعف الانتفاضات الفلاحيـة، وعـدم الاسـتقرار السياسـي للبلاد مـن كثـرة الانقلابات العسـكرية المتواصلة.

تضمـن هـذا القانـون للإصـلاح الزراعـي الصـادر فـي 27 أيلـول 1958 خمس نقاط هي: تحديد سـقف الملكية، المصـادرة والتمليـك، التعويـض، إعادة توزيـع الملكيـة الزراعيـة، والتنظيـم التعاوني.

حين صدر قانون الإصلاح الزراعي، أوحى ممثلو الإقليم الشمالي في حكومة الجمهوريـة المتحـدة أن هـذا القانـون تحقيـق لرغبـة عبـد الناصـر، وأن مـن أقنعه بها هو سـيد مرعي وزير الإصلاح الزراعي المصري.

ولكن سـيد مرعي نفسـه وبعد ربع قرن مـن انتهاء تجربة الوحـدة قال: "لم أكـن موافقا أبـدا على تطبيـق الإصلاح الزراعـي في سـورية، وهـذا واضح في كل التقاريـر التـي وضعتها وليس مجرد ادعاء، فعندما ذهبنا إلى سورية بناء على طلـب أكـرم الحوراني، على مـا اعتقد، تناقشـنا بهـذا الموضوع بصراحـة، وأنا عارضت بشـدة تطبيق الإصلاح الزراعي في سورية، ولما سئلت كيف توافق على تطبيقـه في مصر وتعارض تطبيقه في سورية أجبت:

إننـي وافقت علـى تطبيق الإصلاح الزراعي في مصر لان ٪80 من الأراضي الزراعيـة المصريـة مؤجـرة للفلاحين، وكل الـذي افعله هو أنني أقول للمواطن استمر في عملك وأنا أملكك هذه الأرض بزيادة بسيطة، وبدلا من أن تورد القيمة الإيجاريـة المرتفعة إلـى المالك أوردها إلى ما يسمى بالإصلاح الزراعي.

إن الوضـع في سـورية كان مختلفا فالمالـك السـوري هـو الذي يـزرع وهو الذي يستصلح وهو الذي يبذل الجهد فإذا أخذنا الأرض منه فعلى من سنوزعها؟"

إذاً فقانـون الإصـلاح الزراعـي في مصر جاء تثبيتا لواقع قائم، وقوننة لحالة موجودة على الأرض، وفي سـورية كان شكلاً من أشـكال التأميم، وفرض توزيع الأراضي لناس لا يعملون بها بالضرورة، بل ولناس لا يعملون بالزراعة أساسا.

وبما أن تحديد سقف الملكية يرتهن بالإرادة السياسـية للسـلطات، وهو خيار واع ومقصود لصالح شـرائح محددة. فان الخيار السياسـي (والطبقي) الكامن وراء هذا الإصلاح الزراعي، هو لصالح وحدات زراعية عائلية، يتم اسـتثمارها بشـكل معزول أو جماعي تتفـاوت أهميتها. فقد حدد القانون سـقف الملكية في الأراضي المشـجرة والمرويـة بـ 80 هكتاراً، وفي الأراضي البعلية بـ 380 هكتاراً. من جهة أخـرى قدمـت الدولة تعويضـات لمالكي الأراضي المصـادرة تمتد علـى 40 عاماً وبفائدة مقدارها 1، ٪5 في العام. ويمكن أن يقسـط التعويض على عشرة سنوات أن كان مقداره اقل من 100 ألف ليرة.

ومـن المفيـد الإشـارة إلـى أن عدد المـلاك الزراعييـن الذيـن مسـهم هذا القانـون (لعـام 1958) هـو 3240 مالك ارض مـن إجمالي عدد مالكـي هكتار أو أكثر يبلـغ 258681 مالـك. مما يعني أن نسـبة الفلاحين المعنيين به منهم تبلغ حوالـي 1، ٪25، وهـي نسـبة هزيلـة. وفـي المقابـل وصلـت نسـبة الأراضي التي مسـها قانون الإصلاح الزراعي هذا بالمقارنة مع المساحة الكلية حوالي 16، 42 فحسـب. ومقارنة مع سـقف الملكية في بلـدان أخرى، نجد أن سـقف الملكية الزراعيـة في سـورية بقـي مرتفعاً بعد هـذا القانون. فهـو يتراوح بيـن 30-50 هكتـاراً في الهنـد، وبيـن 3-10 هكتارا فـي اليابان، و 200 فـدان في مصر. مما يؤكد على أن المغزى الأساسـي من هذا الإصـلاح الزراعي –وما تلاه- هو سـعي السلطة إلى خلق ملكيات زراعية فردية، وليس إلى إلغائها لصالح الملكية العامة، والاسـتفادة منه لتكوين دعـم اجتماعي لهـا، ومحاولـة تحقيـق اسـتقرارها السياسي.

أوقـف انقـلاب الانفصاليين عـام 1961 العمـل لفتـرة قصيـرة بقانـون الإصلاح الزراعـي، لكن أعيد تطبيقه اثر التغييـر الـوزاري للحكومـة الانفصالية في آذار 1962، فقامـت بتوزيع الأراضي علـى المنتفعيـن، وبـدأت ببيـع أراضي الدولـة. اما بعد انقلاب حـزب البعث عام 1963 فقـد تم تخفيض السـقف الأعلى للملكيـة الزراعيـة إلـى 55 هكتـاراً في الأراضـي المرويـة و300 هكتـاراً فـي الأراضـي البعليـة وكانـت محصلته بين عامـي 58 ـ 63 أخذ الأراضـي من 4612 مالـكاً لتوزيعها علـى 52504 فلاح، وبلغ مجمـوع الأراضي المصـادرة حوالي 1. 5 مليون هكتار.

يمكـن القـول أن الإصلاحـات الزراعيـة فـي سـورية التـي قامت على المصـادرة والتعويض. وهو أحد أشـكال نقـل الملكية المصـادرة إلـى الفلاحين المنتفعين(الفقـراء)، بمعنـى أن تقـوم الدولـة بمصادرة أراضي كبـار الملاكين العقاريـين وتعويضهم عنهـا مالياً، ومن ثـم تتخلى عـن الأرض لصالح الفلاحين المنتفعيـن إمـا بشـكل قطـع فردية أو قطعـة واحـدة غيـر مجـزأة فـي صيغة جمعيـة تعاونية، على أن يعوضوا للدولة ثمن الأرض بأقساط سنوية. هذا الشكل، مـن تمويل الإصـلاح الزراعـي، ليس إلا نقـل تجاري للريع العقـاري، المكثف في سـعر الأرض، مـن طبقـة اجتماعية إلى طبقة أخرى. ويعكس حالة اختلال واضح في موازين القوى، الفلاحون هم الطرف الأضعف فيه سياسياً.

حـددت الخصائص النوعيـة لتطور سـورية الاقتصـادي والسياسـي تحـت السـيطرة الاسـتعمارية عمليـة تشـكل البرجوازية السـورية كطبقة اجتماعية، وعلاقة مختلف أقسامها بمشكلات البلاد الأساسـية. فالبرجوازيين السوريين في فترة الاسـتعمار الفرنسـي ينحدرون(بل يتماهون) مـن الأرسـتقراطية الزراعية الكبيرة، وبعلاقة وثيقة- لقسم منها- مع رأس المال الأجنبي، شكل ما يعرف بفئة البرجوازية الكومبرادورية.

## ملاحظات وثغرات في قانون العلاقات الزراعية

صدر قانـون العلاقات الزراعية رقم 56 بتاريـخ 2004/12/29 واعتبـر نافـذاً بعد ثـلاث سـنوات على صـدوره أي من تاريخ 2007/12/29 ومن ثم مضى على وضعه موضع التطبيق ما يقارب الخمس سـنوات، وخلال هذه المدة ظهرت ثغرات عديدة في هذا التطبيق انعكسـت سـلباً على المزارعين وعائلاتهم وتركت جرحاً في قلوب نسبة غير قليلة منهم ولاسيما ممـن يعملـون بالزراعـة عنـد أصحـاب الأراضي منذ عشـرات السـنين من دون عقود مزارعة موقعة أصولاً.

1. أكثـر الفلاحين لـم ينظموا عقود مزارعة كتابةً ولبساطة المزارعين لـم يطلبـوا تثبيـت مزارعتهـم رسـمياً كمزارعيـن شـركاء أو مزارعيـن بالبدل وفـق أحـكام قانـون تنظيـم العلاقـات الزراعيـة القديـم رقـم 134 وتعديلاته بالمرسـوم رقم 195 لعـام 1961 و218 لعـام 1963 لذلـك يجـب أن يتضمـن القانـون الجديد حماية المزارع الشـريك والمـزارع بالبـدل نصاً يقضـي بإعطائه الحق لإثبات مزارعته بكل وسائل الإثبات بما فيها البينة الشـخصية (أي الشـهادة) لأنه بالنسـبة لعلاقة المزارعـة القديمة في ظـل القانون رقـم 134 كتابة العقد هـي للإثبات وليس للانعقـاد لأن انعقاد العقد يتم بمجرد تبـادل طرفيه الإيجاب والقبول وتوافق الإرادتيـن للمتعاقدين، ومهلة السنة المنصوص عليها في المادة 163 من قانون تنظيم العلاقات الزراعية رقـم 56 لعام 2004 قـد انقضت وقيدت المزارع بهذه المدة دون ضرورة.

2. القانـون حصـر حق طلب فسـخ عقد المزارعة بالمالك ولم يعط للمزارع حـق طلـب فسـخ عقـد المزارعـة مـع التعويض وخلـو القانون مـن هذا الحق يعطي المالك سلطة مطلقة على الفلاح وذلك يؤدي لإخضاع الفـلاح لنظام الفن (الفنانة).

3. مـن ممارسـات المالكيـن التـي تضر بمصلحـة الفلاح المزارع الشـريك غياب المالك حين جني المواسـم ويعتمد المالـك بعد ذلـك لإقامة الدعـاوى طلب تقدير الإنتاج لتقاضـي قيمة حصته من الإنتاج وفـق تقدير الخبراء (وما أدراك ما الخبراء) فيتكبد المـزارع نفقات الدعاوى وأتعـاب المحاماة التي ربما تفوق ما جناه المزارع ويعمد المالكون إلى هذا الأسلوب للضغـط على المـزارع ليتـرك مزارعته ربمـا مـن دون مقابل أو بـلا تعويض أو تعويض زهيد.

وهكـذا منذ السـبعينات مـن القرن العشـرين، لعبت السلطة السياسية دورا أساسـيا، باحتكارهـا للسـلطة أولا ومن ثـم للثـروة، فـي إعـادة رسـم التكوين الاجتماعـي والطبقـي لسـورية. ولـم تعـد، كما كانـت عليه فـي بداياتها، فئة اجتماعية محدودة ومعزولة(بيروقراطية عسـكرية ومدنية). بل إنهـا اليوم، وعبر صيرورة تاريخيـة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود-مـن الاندمـاج والتوسـع – (وليس عبـر مراكمـة رأس المـال واسـتثماره)، شـكلت وبعثـت وقـوت خلالهـا طبقـة برجوازيـة كبيرة"جديدة-قديمة"(وطبقة مـلاك الأراضـي الكبـار) تشـكل الآن طبقة اجتماعية سـائدة ومالكة وحاكمة. وهذا مـا لم تعرفه سـورية من قبل في تاريخها الحديث، وما يعنيه هذا من تمايز وتفـاوت اجتماعي و طبقي حادين أصبحا واضحينَ أكثر من أي وقت مضى.

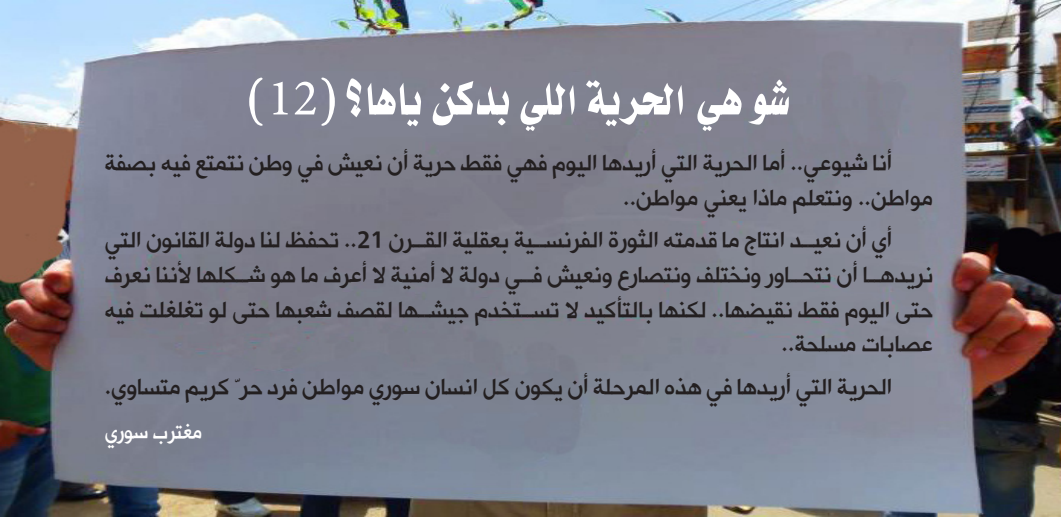


## عهد زرزور

أحياناً بحس إنو الجندي بالجيش الحر أناني.. متل اللي عم يقول أنا بدي إعمل اللي براسي هلأ وح إستشهد.. والدنيا والمستقبل دبرو حالكن فيه هاد مو من حساباتي بتاتاً..

## نزار الرفاعي

هذا ماكنت أخشاه.. ويخشاه.. وتخشاه.. ويخشونه.. وتخشونه.. أن تتحول القضية السورية لقضية لاجئين..!! وتحويل الأغلبية العظمى الصامدة.. إلى.. مجرد لاجئين..

## معتز شيباني

الانتقام.. عنيف.. مروع.. دموي.. بعد إصابة المروحية التي كانت تقصف الناس في داريا والمعضمية.. جن جنون الحاكم بأمره في مطار المزة العسكري، فانهالت عشرات القذائف من الدبابات والمدفعيات والهاون.. ورجعت طائرة أخرى أمطرت أهل المعضمية بوابل الموت والدمار.. تم تدمير المشفى المؤلف من ثلاث طوابق وسوي بالأرض.. بيوت وقعت فوق رؤوس سكانها.. عشرات القتلى ومئات الجرحى خلال أقل من ساعة.. بصراحة لا أدري ماذا أقول لأهالي المعضمية وداريا.. خرجكم الله لا يقيمكم بتستاهلو.. هاد يلي بدو يسقط الطيارة يلي بتقصفه.. تاني مرة بتنقصفوا وأنتوا ساكتين، وإلا بتشوفوا التدمير على حقيقتو.. يا وبش يا مثالة يا جرائيم.. هي جنود الأسد وغضبه.. لا تحاولوا مرة ثانية تستفزونا.. قهمانين.. بتاكلوا الفلقة وانتو ساكتين وإلا.. قسما عظما بتتشرحوا وانتو أحياء..

## عمر إدلبي

لا يكاد يمر يوم إلا وأسمع موشح تخوين من أحدهم بأحدهم!!.. و كأن هذه الثورة اليتيمة ينقصها "بلاوي"!!.. اتقوا الله في دماء شهدائنا وعذابات أسرانا وهوان مهجرينا... بلّش ما تشغلون به أوقاتكم.. و الكلام لمن لا عمل له سوى التخوين والتشكيك بالناس من دون تثبت. والثورة مستمرة.. حتى الحرية... صباحكم أمل وبشائر حرية قريبة.

## صبحي حديدي

خط أحمر، عند أوباما، انتقال أسلحة النظام الكيماوية إلى أيد أخرى. خطوط خضراء: فاشية النظام، سياسة الأرض المحروقة، واستشهاد 20 ألف سوري..

## حنظلة الحمصي

عمو الصاروخ.. بعرف رح تموّتني وتموّت أولاد حمص كلها لو فيك.. بس الله يخليك.. لا توجّعني كتير.. أنا صغير وما بتحمّل كتير.. و لو سمعتني عم أضحك لا تنقهر مني.. هيك بيعملوا الولاد وهنّ طالعين عالسما.. بيضحكوا كتير..

## سالي حمارنة

الزمن نسبي.. العمر نسبي.. العدل نسبي.. الظلم نسبي.. الحزن نسبي.. السعادة نسبية.. الموت والولادة وحدها حقائق ثابتة.. وطول ما في أرحام ولادة.. في حياة.. وهي حقيقة تقهر الموت..

## إياد عماشة

العدالة هي أن أركض مع حبيبتي.. في أزقّة العالم.. دون أن يسألني الحرّاس عن رقم هاتفي.. أو هويّتي الضائعة..

## يارا صبري

لك كلن.. إي كلن.. بدنا ياهن.. واحد واحد.. محمد وسعيد ونور.. وبحيى.. وضياء وسعيد وعمر ورضوان.. وإبراهيم وأحمد وحسام وآزاد وتامر والدكتور والطالب والمهندس والعامل والفلاح والصبايا وكلن.. مازن وسامي وزهير وراامي.. كلن.. ولاد بلدي.. من الشام والسويدا وادلب وحمص وحماه وحلب والدير والرقه ودرعا والقلمون والريف.. كل الريف.. والحسكة والقامشلي واللاذقية وطرطوس.. بدنا المعتقليين.. بدنا المعتقلين.. ولامنكل ولامنمل.. بدنا ياهن.. بدنا الكل.. الكل.. الكل.. الكل..

## ميس قات

أسوأ ما فعله النظام بك.. حولك لشخص قادر على الشعور بالفرح عند سماع نبأ مقتل أحدهم..

## مي سكاف

نداء.. أقول نداء لأني أعرف أنكم تلبونه.. أقولها وكلي إيمان بعدلكم.. ندائي إلى كل إخوتي في الجيش الحر.. أفراداً وجماعات.. جنوداً وضباط: ثورتنا نشأت من الألم.. من فقدان الكرامة.. من حصار المدن.. من التنكيل.. من الاعتقال.. ثورتنا تنشد العدالة.. أتوسل إليكم يا أحرار.. لا تظلموا قرانا ومناطقنا النائية.. المهمشة.. الخائفة.. لمجرد انتماء الخوف هو من فعل الطغاة.. والعدل هو من شيمكم... توجد قرى في الساحل السوري لا ذنب لها إلا أنها خائفة من المستقبل.. دعونا نرميها بورود المستقبل.. بأمل بناء سوريا لكل السوريين حقا.. أتوسل إليكم أن لا تفقدوا بوصلة الحق والعدل والكرامة.

## كبريت

كثيراً ما يقول الصامتون.. الخائفون.. الرماديون.. الحياديون.. أن الثورة السورية ستعيد البلاد عشرين سنة إلى الوراء.. لو استطاعت ثورتنا إعادة سوريا خمسين سنة إلى الوراء فبالتأكيد ستكون ثورة ناجحة.. سوريا قبل البعث مثال للتحضر.. التمدن.. الجمال.. والعيش الكريم..

## إلياس خوري

الخوف ليس من الثورة السورية، أو من أخطائها التي يجب تصويبها، الخوف هو من الحماقة والزعرنة، التي قد تسمح للنظام الأسدي بالتسلل من اجل قلب الطاولة، عبر تحويل ثورة شعب إلى كوميديا سوداء اسمها الحرب الطائفية.

## جمال داود

إذا النظام يوما أراد الحياة.. فلابد أن يقصفنا بالطائرات..

## جيفارا نمر

كل ما اسمع الصوت عم يقوى أكتر ويقرب أكتر بتذكر المثل الحمصي: الهاون يلي بتسمعو ما بيصيبك!!.. الأصوات كتير قوية ومشكلة.. إنشالله كلكون تكونوا عم تسمعوها!!

## راشد عيسى

عادة، في مثل هذه الأيام يدق قلبي لمجيء أيلول، أروح منذ الآن أحلم بذهب أيلول وبرده اللذيذ، والمطر وتوابعه. لأول مرة في حياتي أكره ذلك الشيء المسمى أيلول، الذي نعرف جميعاً أنه يخبئ خلفه طوابير المنتظرين للموت، والغاز، وو.. ثم أين يذهب هؤلاء الذين باتوا اليوم بلا مأوى؟ هل يحتمون بذهب أيلول، ومواقد الأغاني؟

## فرج بيرقدار

لا دموع يا ميمتي تنفع ولا آهات.. سلمت عيونك شواطي لشوق رحلاتي.. يهون السجن والموت ولا تنحني الرايات.. كيف السما تنسمى من غير رايات؟.. مقطع من قصيدة شعبية أرسلتها لأمي قبل أكثر من ثلاثين عاما.

## ياسين الحاج صالح

لا أصدقاء اليوم للشعب السوري، وغداً لن يكون أحد مؤهلاً للوم السوريين على أي شيء أو إعطائهم النصائح..

## حسام القطلبي

لكم الشمس.. ولكم دمشق.. والنصر وساحات سوريا.. يا أهل الأرض المحتلة!..

التاسعة مساءاً إلا ثلاثة عشر دقيقة.. اليوم الإربعاء الثاني والعشرون من شهر آب صيف من الأعوام.. توقيت مدينة قديمة لا نعلم توقت ولادتها بدقة.. المكان بريد الكتروني ما.. ارتفاع حصيلة شهداء سوريتنا الى مئة وثمانية وخمسون شهيدا حتى اللحظة، ثمانية وتسعون شهيدا في دمشق وريفها بينهم ستة واربعون اعدمو ميدانيا في القابون، وخمسة وعشرون اعدمو ميدانيا في كفرسوسة، وسبعة شهداء اعدمو ميدانيا في نهر عيشة، الخ الخ تختلط الارقام وتصبح غير مقروءة فهي مجرد ارقام لا صورة لا اسم ولا قلب.. لا ذكرى ما تتجمع وراء عين اطفأت بذهول فجأة

حتى اللحظة.. تلك اللحظة التي يختلط فيها الدم بالدم ولا يبقى فيها مكان سوى لطلقات اعدام ميداني لا يعي انه يحفر ثقبا اخر في الوطن.. ذاك الوطن الاحمر.. المبتعد أكثر مع ارواحهم.. إعدام ميداني.. اعيد قراءة الكلمة وافكر بمعنى الميدان.. أهي حرب حقا!.. مجزرة وراء مجزرة.. ونغني تعالي ننتمي للمجزرة.. أم أن المجزرة تنتمي للوطن؟ ماذا يقصد درويش؟ سنسكن المجزرة وطنا.. يا لعنف الاستعارة وبالرغم من ذلك.. .. اقتضى التنويه.. حتى هذه اللحظة

متوالية الموت السوري.. ميدان أرقام

شام داود

## رسالة إلى السيدة أم علي

أم علي أول شي البقية بحياتك ومن قلبي وصدقيني من قلبي بتمنى تعيشك الحياة إنك تكملي حياتك وتربي ولادك متل ما بتحلم كل أم.. يا أم علي هادا اللي كاتب نافق على صورة أبو علي (وأنا إذا بتصدقيني بعتبر هالكلمة المكتوبة جريمة.. وأنا مع الثورة من قبل الثورة بشي 30 سنه) هادا اللي كاتب هيك يمكن بأول الثورة بق

ي يصرّخ: الشعب السوري واحد لحتى انبح صوتو. بس يا أم علي الكرسي اللي عامي عيون اللي قاعد عليه ما خلا النظام يسمعو وكان يسميه خاين ويقتلو يحبسو وأنا ماني متأكد انتي وأبو علي بهديك الأيام شو كنتو عم تسموه؟ خاين ولا صاحب حق وعم يطالب بحقو متل كل البشر بالعالم.. يا أم علي اللي قتلهن أبو علي بدارة عزة ويمكن بغير بلدات قبل ما يموت كمان كان عندهم ولاد وعندهن زوجات وأمهات وراح أبو علي عضيعهم (وأنا سمعتك وانتي عم تذكريه إنك ما كان بدك ياه يروح) بس هوي اختار وراح عضيعهم لأنو في حدا خوفو منهم وخبرو إنو إذا ماقتلهن وقتل ولادهن هني رح يجو لعندك عالضيعة ويقتلوك ويقتلو ولادك.. وهون المشكلة يا أم علي إنو أبو علي صدقهن..

يا أم علي أنا قضيت سنين من عمري بسجون حافظ أسد واللي عذبوني بالدولاب والكهربا والكبل الرباعي كانوا أبو علي وأبو خالد وجورج.. واللي كانوا يعتنوا بجروحي بالمهجع 9 بفرع فلسطين كانوا أبو علي وأبوخالد وجورج وصدقيني كان أهم واحد اعتنى فيي هوي أبو علي.

يا أم علي انتي وولادك سوريين وأجدادكن سوريين.. انتو ما جيتو عسوريا بعهد حافظ وابنو لحتى تخافو على حالكن إذا سقط النظام.. يا أم علي اليوم الوضع صار صعب كتير وما بدي اكذب وقلك انو الحل سهل.. النظام دمر مدن وخلا ناس تقتل ناس وخبر كل اللي استشهدو بالحولة وبكرم الزيتون وبالقبير وقطنا والحراك وبكل سوريا.. خبر أهالي كل الشهداء انو اللي قتلهم هوي أبو علي وحط أبو علي بالواجهة. بس أكيد يا أم علي بدو يجي يوم ويكتشف السوريين اللي هني اليوم مجروحين إنو أبو علي كمان كان ضحية النظام متلو متل كل السوريين. ويومها يمكن يروحو رجال ونسوان من الخالدية وجورة الشياح لعندكن عالضيعة ليقروا الفاتحة على روح أبو علي.. ادعي معي يا أم علي لنوصل لهداك اليوم.

مالك داغستاني

صخبُ ذلكَ الصمت..
اسمعهُ يشقّقُ تلافيفَ دماغي..
أيها البناؤونَ.. ادعموني ببعض..
الأحجار.. أريد بناء جمجمتي..
من جديد..
أنا لم أقتل أحداً بعد!!!
لكنَ أحلامي تغتالني..
أيها النوافذ.. قليل من
هواء.. الغابات
أنني أختنق.. ورئتاي
هربتا خارج الزمن..
انني احتضر.. وداعاً..
وداعاً.

الشهيد معتصم برهان
استشهد متأثراً بجراحه التي أصيب بها إثر إطلاق النار عليه على حاجز الجرجانية في الزبداني

# بولند كينيش: إيران.. تهديد أم فرصة..

■ ياسر مرزوق

إيران وتركيا، ما إن يذكر هذان البلدان إلا ويكون ثالثهما العالم العربي عموما وسوريا خصوصا، كيف لا وعلاقة عضوية بحكم الجغرافيا والتاريخ تربط أطراف هذا المثلث، ألم يشكل الصراع الصفوي العثماني جزءاً كبيراً من تاريخنا وإذا اتبعنا الافتراض القائل، بأن إيران تمثل المسلمين الشيعة وتركيا تمثل السنة، فالصراع بينهما يمثل تاريخنا الإسلامي بمجمله، بالإضافة للعلاقة الوثيقة لكل مجريات تاريخنا الحديث مع ما يجري في البلدين المذكورين، هذا و تحتل اليوم كل من إيران وتركيا موقعاً مهماً في خارطة الشرق الأوسط، ويثير البلدان مؤخراً اهتماماً متزايداً نظراً لانخراطهما في عدد من الملفات الإقليمية والدولية الحساسة والمهمة كالملف النووي والتنافس الثنائي على النفوذ الإقليمي بينهما، والذي اشتعل بعد اندلاع الثورات العربية والمواقف المتضاربة لكل منهما من هذه الثورات، ولاسيما من الثورة السورية. وليس واضحا حتى الآن إلى أين يمكن أن يصل هذا الشرخ الإيراني-التركي، على رغم أنّ الإيرانيين صرّحوا خلال محطات عديدة بأنهم إذا خيّروا بين النظام السوري وتركيا، فإنهم سيختارون النظام السوري بالتأكيد. لكنّ أوساطا تركية عديدة تشير في المقابل إلى أنّ الإيرانيين يحتاجون تركيا وسيبقون في حاجة إليها.

"إيران.. تهديد أم فرصة؟"، عنوان كتاب الصحفي "بولند كينيش"، رئيس تحرير صحيفة "تودايز زمان" التركية التي تصدر باللغة الإنجليزية، ويسلط فيه الكاتب الضوء على سير العلاقات التركية - الإيرانية التي كانت ولا تزال تتأرجح صعوداً وهبوطاً، لفهم سياسة إيران الخارجية وتحديد موقعها في خريطة التنافس الإقليمي؛ هل هي صديقة أم عدوة لتركيا..

ويتناول الكتاب العلاقات التركية الإيرانية في ثمانية فصول وهي: -1 أين تقع إيران ومن هم الإيرانيون. -2 اعتقاد الشيعة ودوره في الثورة الإيرانية في 1979. -3 العلاقات التركية - الإيرانية في عهد الخميني. -4 تركيا وسياسة إيران الخارجية في عهد رفسنجاني. -5 تغير إيران في عهد خاتمي وعلاقاتها مع تركيا. -6 عهد أحمدي نجاد وتطرف إيران من جديد. -7 إيران والمشكلة الكردية. -8 تركيا وتطلع إيران إلى أن تكون قوة نووية.

ويتناول كاتبنا اليوم السياسة الخارجية الإيرانية بشكل مفصّل وخلال مراحل زمنية مختلفة ومتسلسلة ما يوفر فهماً للسلوك الإيراني الذي تقوم عليه السياسة الخارجية للبلاد تجاه عدد من القضايا واللاعبين الدوليين، وذلك عبر عرض وتحليل مختلف الوقائع المهمة على مرّ التاريخ السياسي لإيران بعد "الثورة الإيرانية" وحتى اليوم.

فيخصص الفصلين الأول والثاني للتركيز على العلاقات الإيرانية الداخلية وخصائص إيران الجيو بوليتيكية، والديمغرافية، والخصائص الدينية والوطنية. فيما يركّز الفصل الثاني على معتقدات الشيعة والدور الذي لعبته خلال الثورة الإيرانية. ليصل الكاتب إلى استنتاج مفاده أن الإيرانيين خبراء في مجال التقيّة والخداع والكتمان كما القوى الكبرى خبيرة في الدبلوماسية والعمل الدبلوماسي. ويوضح المؤلف في هذا المجال أن نمط السياسة الإيرانية مزعج لدول المنطقة بالقدر نفسه الذي يزعج به دول الغرب. ويضيف بأنّ مسيرة 32 سنة من الثورة الإيرانية، واستخدام النظام لوسائل العنف المباشرة وغير المباشرة وغيرها من الأدوات لتوسيع نطاق وإطار نفوذه وتصدير الثورة خلق صورة سلبية لإيران في أعين الفاعلين الإقليميين والدولي. وتتناول باقي الفصول العلاقات الإيرانية-التركية خلال مراحل متعددة منذ تأسيس الجمهورية الإيرانية.

يشير المؤلف إلى أنّه وخلال عهد رفسنجاني "1989-1997" وعلى الرغم من المصالح المشتركة للبلدين، فإن العلاقة المشوبة بالتوتر والخصائص المتضاربة للدولتين حالت دون الارتقاء بمستوى هذه المصالح إلى درجة تشكيل نوع من التحالف الثنائي بينهما. وبقيت مواضيع مثل العلمانية التركية والتحالف التركي مع أميركا مقابل الدعم الإيراني للحركات الإرهابية كحزب العمال الكردستاني والمنظمات الأرمينية تمثل مصدر تهديد وانعدام ثقة لكل من أنقرة وطهران، لكنّ الأهمية الإستراتيجية للبلدين وعمق العلاقات الاقتصادية منع كلاً منهما من الوصول إلى درجة قطع العلاقة أو إحداث شرخ فيها.

ويلفت الكتاب إلى أنّ الرئيس خاتمي حاول خلال فترة "1997-2005" أن يجعل من السياسات الإيرانية أكثر عقلانية وأن يركز في ذلك على تطوير المنظور الإصلاحي والمعتدل نسبياً. لكن، وكغيرها من المراحل الزمنية السابقة، بقيت موضوعات دعم إيران لحزب العمال الكردستاني والعلاقات التركية-الإسرائيلية مصادر توتر دائم بين البلدين. وبعيداً عن تفسير مسار العلاقات السياسية والاقتصادية، يقول كينيش: إن التحقيقات التي جرت في العام 2009، أظهرت أن أنقرة كانت تلوم طهران في الفترة الممتدة منذ التسعينيات وحتى عام 2000 على مجموعة من الاغتيالات الغامضة وعلى عمليات حزب اللّه التركي دون وجود دلائل قاطعة على هذه الادعاءات.

لكن ومع توقيع الاتفاقيات الأمنية والتعاون الأمني بين طهران وأنقرة منذ العام 2000، أصبح ملف حزب العمال الكردستاني يفقد أهميته وأولويته على جدول أعمال البلدين، ثمّ جاء الغزو الأميركي للعراق ليخلق مساحة أخرى للتعاون بين البلدين فيما يتعلق بالحرص على وحدة العراق ومنع أية حركات انفصالية، وأيضاً لكبح الصعود والتفوق الأميركي في المنطقة، فمع سقوط نظام صدام حسين في العراق، ارتفعت نسبة عمليات الحركات الكردية المسلحة التي تنطلق من الحدود العراقية باتجاه كل من إيران وتركيا ولاسيما حركتي حزب الحياة الحرة الكردي الذي يعمل ضد إيران، وحزب العمال الكردستاني ضد تركيا، وقد دفع ذلك البلدين إلى الاقتراب أكثر فأكثر من بعضهما البعض فيما يخص مقاربة الملف الكردي والعمليات المشتركة.

وأيقظ الغزو الأميركي للعراق المخاوف من نشوء دولة كردية قد يؤدي تأسيسها إلى تسريع عمل الحركات الانفصالية الكردية، ولكن وبعكس تركيا التي كانت قلقة من هذا الموضوع، فإن مخاوف إيران كانت أقل بل إنها سارعت - لمعطيات براغماتية وإستراتيجية - إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الحكومة الإقليمية لشمال العراق الكردي -وكانت من أوائل الدول في هذا- سعياً وراء توظيف الحكومة الكردية في خدمة مصالح طهران الخاصة في المنطقة.

في الوقت الذي يذكر فيه الكتاب أن تركيا بقيت دوماً قلقة من موضوع استخدام إيران للورقة الكردية ضدّها، يرى المؤلف أنّ الطرفين لم يستخدما الورقة الكردية ضد بعضهما البعض في الوقت الذي تكون فيه العلاقة جيدة وسليمة.

خلال الفترة الممتدة بين العام 2005 وإلى الآن أو إلى انتهاء فترة حكم نجاد التي لا تزال مستمرة، تميزت العلاقات بين البلدين باعتمادهما مبدأين أساسيين في التعامل مع بعضهما البعض، يقوم الأول على تجاهل الاختلافات الأيديولوجية للدولتين، ويقوم الثاني على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

ويلفت المؤلف إلى أن العلاقات الثنائية خلال فترة أحمدي نجاد لم تشهد مشاكل حقيقية حتى الآن، ومع انفتاح تركيا والسياسة التركية على الشرق الأوسط، جرت هناك مساع إيرانية لإعادة بناء العلاقات التركية-الإيرانية لتحقيق تقارب أكبر بين البلدين. وفيما كان يتم إعادة تعريف المنظور التركي لإيران، كانت الأخيرة تبدي اهتماماً أكبر بالانفتاح على تركيا. وقد أدت الزيارات الرسمية المتبادلة بوتيرة أسرع في وقت من الأوقات خلال هذه المرحلة بالإضافة إلى توسيع دائرة التعاون إلى التغلب على العقبة السيكولوجية المتمثلة بفقدان الثقة والتي كانت دائماً موجودة لدى الطرفين واستقطبت كل هذه التطورات الإيجابية في العلاقة بين الدولتين ردود أفعال مختلفة من قبل العديد من الدول الغربية، وإن لم تغيّر في نفس الوقت من مستوى التعاون والتنافس الملتهب أصلاً.

لكن الكاتب يعود ليبدي سلوك إيران الخفي المتناقض مع ما هو معلن، إذ

يقول إنّ "هناك جهوداً إيرانية حثيثة تبذل لاختراق المجتمع التركي لغاية التمدّد الشيعي الحاصل أخيراً في المنطقة، وهو ما يمثل تهديداً حقيقياً لتركيا". ويضيف: "لقد اتّسعت دائرة الحديث عن هذا التهديد أخيراً، لكن ما يجب ملاحظته هو أنّ هذا التهديد مختلف عن التهديدات الأخرى للإمبريالية الأميركية أو التأثير الإسرائيلي، لكونه مقنّعاً ومختبئاً ويعمل في البنى التحتية، ويدّعي أنه صديق".

وقد أتت الثورة السورية لتكشف النقاب عن الصراع الإيديولوجي، والذي دأبت إيران على نفيه، وظهرت في الأوساط التركية عوامل تململ من ارتفاع تأثير هذا النفوذ الإيراني لأنه غير مرئي بالنسبة إلى العامة من الناس، والثانية في عدم القدرة على التأهّب والاستعداد لمواجهته نظراً إلى طبيعته وخصائصه المذكورة أعلاه، وكما على الصعيد السياسي والاجتماعي، كما أدى سلوك إيران على الصعيد الاقتصادي، إلى غياب الثقة بين الطرفين خاصة بعد تكرار ايران لعدم التزامها الاتفاقات المبرمة، خصوصاً تلك المتعلقة بالغاز والنفط، ناهيك عن استخدام الاقتصاد في الألعاب السياسية الإيرانية المعهودة للضغط والابتزاز.

في النهاية، يبدو نهج الخلط بين البراغماتية والإيديولوجيا بحدهما الأقصى الذي تتبعه السياسة الإيرانية منذ الثورة الإسلامية حتى يومنا هذا، عصياً على التحليل حتى للمختصين في الشأن السياسي، إلا أن كتابنا اليوم يعطي صورة مبدئية عن سياسة الملالي في إيران ونظرتهم للعلاقات الدولية، وهو كتابٌ لابد من قراءته شأنه شأن أي مؤلف أو بحث أكاديمي، يصدر حول الجارين اللدودين، إذ أنه وفي سوريا خاصة قد تتغير العلاقة مع البلدين المذكورين استجابةً لمعطياتٍ داخلية وخارجية، لكن نفي هذه العلاقات يبدو مستحيلاً، فكما بدأت قراءتنا اليوم أختم بأننا محكومون بالتعاطي مع إيران وتركيا بحكم التاريخ والجغرافيا.

# في الثورة وخرائط الجسد

■ نبراس شحيد

في مقبرة شهداء مخيم العائدين للاجئين الفلسطينيين في حمص

## إيزيس الحكاية تجمع أشلاء أوزيريس

فجأةً ينهمر الرصاص، معه قذائف وقنابل، فتسقط أجساد كانت للتو ترقص، تقفز، تصرخ، تتظاهر. تتناثر الأشلاء. تنتهك القنابل حرمة الجسد لتظهره تشريحياً: أمعاء من بطون مبقورة، عظامٌ تتعرّى، جلدٌ يُسلخ، عيونٌ تُقتلع، ومخاخٌ تتطاير من الجماجم. يحاول العنف أن يجعل من الجسد مجرد جسم بيولوجيّ، معطّل الوظائف، كريه المَنظر، لكنه يفشل! يهرع المتظاهرون إلى لملمة الأشلاء، إلى أنسنتها. يقبّل الثوار جثثاً مجهولة، كانت في الماضي مرعبة، ليصوغوا من الأشلاء حكايات من استشهدوا، فتختلط أنسجة الأجساد بنسيج الكلمات فتحيا من جديد. يرفض الجسد المنتفض أن يكون موضوعاً مشيّأ، بل يصير ذاتاً حين تنقلب الجنازات تظاهرات تحتفل بأشلاء تعود أجساداً في ذاكرتنا، في القصص التي نرويها عن الراحلين. يتجمّع أهل الحي حول النعوش، تتشابك الأجساد من جديد، وتصدح الحناجر بالأناشيد، بالزغاريد، وتصارع العيونُ الدموعَ، ليستمر الجسد في الولادة رغماً عن الموت! في سوريا- النظام يُختزل الجسد في وظائفه البيولوجية، في الخوف من سجّان ذَبرَ تحقير الجسد، في صورة نمطيّة ميتّة. في سوريا-الصرخة-السؤال يصير الجسدُ حياةً تتحدى الموت لترقص من جديد، لتلملم ذاتها، لتبدعها.

## الجسد الأنثوي خريطة مجتمع

شهد المجتمع السوري في السنوات الأخيرة ظاهرة جديدة أخذت في الانتشار، عرفها من قبله المجتمع المصري وغيره من المجتمعات العربية: نساءٌ محجبات يرتدين ألبسةً لا تتناسب وفكرة الحجاب. للظاهرة هذه مدلولاتٌ كثيرة، فجسد المرأة معيارٌ أساسيّ لفهم ما يسود المجتمع من تناغم وتصارع بين مكوّناته. يُعرّي جسَدُ المرأة حال مجتمعنا، حين يصير صرخةً تُعبّر عن ذاتها من خلال الظاهرة المذكورة، فيفضح بألوانه، بحركاته، بالأقمشة التي تستر اللحم الغض أو تكشفه، الإشكالية العميقة التي نعيشها على مستوى الهوية. تتصارع في الجسد الأنثوي هنا قوىً متناقضة، لم تجد بعدُ إلى الحوار المجتمعي الناضج سبيلاً. فمن جهة أولى، نرى الجسد الأنثوي بإرثه الثقافي متطلعاً إلى الحداثة الغربيّة وتباشير حريتها. لكن الحداثة الموعودة تبقى غريبة عن الواقع، من جهة ثانية، فالجسد الأنثوي لا يزال خاضعاً لأصالة تقليدية، لم تعد في كثير من الأحيان مقنعة، وإلا لما حاول تجاوزها. لا يُقصد بالأصالة غير المقنعة هنا، معتقدٌ دينيّ ثقافيّ معيّن، بل انغلاق الموروث الثقافي على ذاته، على نحو قد تتجمد فيه القيم الاجتماعية والدينية النبيلة التي يحملها، فتفقد مرونتها وقدراتها الخلّاقة. لذا، نرى الجسد يتفكك بين رأس مستتر وأعضاء صارخة، فيضيع بينَ ماهيتين متصلبتين: أصالةٌ جامدة وحداثةٌ غريبة، لتعكس العيون أحلاماً مبعثرةً وتطلعات شريدة، تقف طبيعةُ المجتمع حائلاً دون تحققها. تفضح تطلعاتُ الجسد الأنثوي عجزَ الماضي، الذي تغنّينا به طويلاً، عن الإجابة عن أسئلة الحاضر. لكن اصطدام التطلعات هذه بطبيعة الواقع، تعبّر أيضاً عن عدم تناسب الحداثة المرجوة مع "الآن" و"الهنا"، لأنها في الكثير من الأحيان تبقى محض أفكار ظلت غير منسجمة مع طبيعة المجتمع. الحال إذاً تشبه، أكثر ما تشبه، غربةً مزدوجة: غربة في ماضٍ عاجز، وأخرى في مستقبل حداثيّ موعود لم يترعرع في رحم الواقع، لتتشابك الغربتان في جسدٍ يصارع الغياب.

## حين يولد الجسد قيصريّاً من رحم السؤال

في أولى تظاهرات دمشق (15 آذار 2011)، لم يكن الهتاف الأول الذي صدحت به الحناجر إلا سؤالاً عن ذات مفقودة: "وينك يا سوري وينك؟". "أين أنا من أنا؟"، يقول السؤال الأول الخارج من رحم الجسد، من النسيج الحي، من الحبال الصوتية، ليرسم عمق الغربة التي نعيشها، فيبدأ مشوار البحث الأليم عن الذات. لم تكن اللحظة الثورية في طورها السوري إلا تفتّق السؤال هذا، متمرّداً على عادية الماضي الجامدة التي فيها سُجنّا، ومولوداً من صلب الواقع ومعاناته، لا من حداثة بقيت غريبة عنا. لم يكن السؤال هتافاً دينياً، لم يكن شعاراً، بل إمكان مشروع حداثيّ جُبلَ بصرخة وجودية، تقول إنّي لم أعد أنا! صوغ السؤال جاء بالمفرد، من غربة الجسد، أما الإجابة ففي صيغة الجمع تُحاك: أجسادٌ تتلاصق، أيادٍ تتشابك، نساءٌ محجبات منقبات سافرات، رجالٌ، أطفالٌ، أقدامٌ تكرّ تفرّ، والحناجر تتوحّد حول سؤال يكرر ذاته بلا توقف، أين أنا من أنا يا أناي؟ هكذا، أوجدت الثورة، على الرغم من المزالق والانعطافات التي مرّت بها، مساحة جسدية جماعية جديدة تستطيع ذات الفرد فيها أن تبحث عن نفسها، شرط أن يبقى السؤال حيّاً فينا: وينك يا سوري وينك؟

## حين يتغلغل الوطن في مسام الجسد

في إحدى تظاهرات دمشق "الطيّارة"، تجمع عشرات الشابات والشبان في شارع الحلبوني للمطالبة بإسقاط النظام ولنصرة المدن المكلومة. لكن ما إن انفضّت التظاهرة حتى انقضّ على فلول المتظاهرين الشبّيحة بهراواتهم الغليظة وشتائمهم التي تحقّر الجسد. تجمّد أحد الأصدقاء، ثلاثينيّ العمر، وأمامه ارتعدت فتاة محجّبة كانت تشارك في التظاهرة. قال لها بعجل امسكي بيدي كي يحسبونا خطيبين نتسكّع مصادفةً هنا فلا يشكّوا فينا. لم تتردد الفتاة، فلفّت يده بيدها لتتشابك الأصابع، والتصق الجسدان بتناقضاتهما: الكتف على الكتف، والوجه الذي لم يعرف الصلاة أوشك أن يلامس وجهاً يطأ الأرض خمساً في اليوم. مرّا بهدوء من بين عصابات النظام التي قلبت التظاهرة مسيرة مؤيّدة، من دون أن يكلّمهما أحد. استمرّ المشوار دقيقتين أو ثلاثا، لكنه بدا دهراً، والعرق غسل جبينيهما من حذر الماضي. عبَرا الطريق، ثم وقفا، فشكرها وشكرته، لكن الوداع كان عصيّاً، فالجسد السوري سرى في مسامهما متسامياً على تناقضات قديمة حكمت جسديهما طويلاً. التناقضات القديمة هذه لم تندثر بالطبع اليوم، فهي لا تزال تعمل في أجسادنا. لكن وعلى الرغم من ذلك، صار في إمكان الجسد ألا يبقى هوّةً نتمزّق فيها بين عجز الماضي وغرابة الحداثة، وصار في إمكان الجسد أن يصير مشروع حياة، لا بل مشروع وطن نصوغه في شغف السؤال: وينك يا سوري وينك؟

النهار اللبنانية 25 / 8 / 2012

## شهداء سوريا

**مجموع الشهداء (22012)**

دمشق: 1122
ريف دمشق: 3333
حمص: 6102
حلب: 1786
حماه: 2172
اللاذقية: 401
طرطوس: 42
درعا: 2202
دير الزور: 1439
الحسكة: 130
القنيطرة: 46
الرقة: 81
ادلب: 3141
السويداء: 17

2283 عدد العسكريين
19731 عدد المدنيين
1223 عدد الإناث
855 عدد الأطفال الإناث
1459 عدد الأطفال الذكور
المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 26 / 8 / 2012
http://vdc-sy.or